صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ـ ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

كانون الثاني (يناير) ١٩٦١
العدد الثامن
السنة الثالثة

صلاة في هيكل الايام الزاحفة

الثقافة ، وترنو ، فلا ترى غير مجزرة هنا ، آخذة بكف مجزرة هناك ، مذبحة هنا يسيل لها لعاب مذبحة هناك ،

وهي ترى ، في صدر القرن العشرين ، الانسان يغدو مجرد رقم في عالم الرقم ، مجرد آلة في دنيا الآلة ، كومة ذعر ، تتجمع على نفسها ، كبة رعب تتقوقع ،

الثقافة ، وهي بما خطت لنفسها اتجاها : أن تكون مع الانسان ضد الشرير ، والشر ، ضد كل ما هو لا انساني ،

وهي ترى انسان الجزائر يتمزق على شبا سكين جزار ، ليس في بال الوحشية ، سفاح ضن ، ضن التاريخ ، بمثله ، وهي ترى الجزائر تتعرى تعرية ليست في بال الشمس .

وهي ترى فلسطين والبيارات ، والنكبة التي تتطاول ، حتى ليطول مد اليأس ، وحتى ليتعاور النفوس شيء من مثل الايمان ، بأن القضية والخيبة متلازمتان ، وحتى ليغدو التسليم ـ على الامل الذي يراوح صباح مساء ويراود ـ حتى ليغدو التسليم شيئا من جزئيات الحياة .

الثقافة ، وهي ترى الانسانية ، تطوي جرحا من هنا ليتفجر الف جرح من هناك ،

وهي تتبنى قضية الانسان حيثما كان ، واينما حل ، وانى وجد ،

لا تملك ، والعالم يسير في جنازة عام ، ليدق نواقيس بشارة بعام ، لا تملك الا أن تزفر زفرة ، والا أن تضم صوتها ، الى الاصوات المتعالية في عالم اليوم ، والا أن تحركه في صلاة قصيرة ، أقل أقل ما فيها :

أن تهب ، أنت ، رب الوجود ، ونحن ننحني لك ، مزيدا من طمأنينة ، ومن راحة ، ومن سلام .

أن تمزق فينا شهوات الذئاب

أن تحرق رايات الحروب ، أن تبدد أشباحها ، أن تفرق ظلالها ،

أن تمنح الانسانية ما يرفع عن كاهلها أثقالها ،

أن تترك الاطفال ، رب ، يكبرون بسلام ، بلا جوع ، بلا مرض ، بلا قلق ،

أنت ، أنت ، والمجد لك ، في علياء عليائك في منحك المسرة للعالم ، في تفجير رحمتك سلاما على الارض ،

السلام ، رب السلام ، لكل متعب ، ومحزون ، وبائس وضائع ، ومشرد .

السلام رب السلام للعالم ، فلا يفجأ سمعنا ، كل مطلع شمس ، أن الوحوش تتبارى ، لصنع آلة دمار جديدة ، وأن الانسانية تقف على حافة المهوى ، مغمضة العينين .

من أجل الاطفال يارب
من أجل الامهات والآباء
من أجل الانسان يارب

نحــن والتلفزيون

بقلم : الدكتور ابراهيم الكيلاني

تتجه الحضارة الحديثة التي ننعم بخيراتها ونشقى بشرورها نحو هدفين أساسيين : ايجاد الوسائل المؤدية الى الانتصار على الزمان والمكان ، وتوفير النفع المادي والمتعة الروحية والفكرية لبني الانسان •

وقد اهتدى العقل الانساني الجبار في جملة ما اهتدى الى معجزتين فنيتين لهما أثر بارز في حياتنا وهما : السينما والراديو • فالسينما في حد ذاتها اداة لنقل الصورة والصوت من قريب ، والراديو أداة لنقل الصوت من بعيد ، وكلاهما يتخطى في عمله المقاييس والحدود الزمانية والمكانية •

وكان لا بد للعقل البشري في سيره الابداعي المطرد من ايجاد وسيلة ثالثة تركيبية تجمع بين الاختراعين فكان أن أوجد التلفزيون •

والتلفزيون في حد ذاته اداة لنقل الصوت والصورة معا في اطارهما الذي تحدثان فيه الى مسافات بعيدة سواء بطريقة فورية آنية أو مؤجلة •

ولا شك في أن التلفزيون قد تفوق على خصميه الراديو والسينما ، فاذا عملت السينما والراديو ، كل في ميدانه وأعتمد على أساليب هي سر نجاحه واكتماله ، كأعتماد السينما على الحاسة البصرية ، واعتماد الراديو على الحاسة السمعية ، واذا كانت السينما قد تغلبت على الراديو ممهدة السبيل لبروز التلفزيون الى الميدان فذلك لانها تتمتع بميزات مغرية ليس الراديو منها في شيء ، فان حضارتنا هي حضارة الصورة المعبرة الرمزية لا حضارة النص المكتوب المسموع ، وبما ان الذاكرة السمعية أقل امتصاصا واستيعابا من الذاكرة البصرية وأقل ديمومة منها اتجهت الحضارة بأساليبها الآلية ونمطها القائم على السرعة والتوزع وتبديد القوى والوعي نحو المنظور بقدر ما بعدت عن المقروء والمسموع •

كل هذا أدى الى بروز الاختراع الثالث هو التلفزيون حاملا معه ككل اختراع مزاياه وعيوبه مما حمل المفكرين والمربين والاهلين وعلماء الاجتماع على طرح المشكلة بصورة لا تخلو من تشاؤم وتحسس بالخطر المقبل ، ذلك ان التلفزيون أخذ يحتل مكانه في حياتنا ، فهو وان حمل معه مميزاته الخاصة فقد حمل أيضا مساوىء الراديو والسينما معا •

انه اداة امتاع وتسلي وتثقيف ، وهو ذو سحر عجيب ، وقوة استحضارية هائلة ، وتأثير على النظارة يفوق تأثير السينما والراديو مجتمعين ، فنحن لا نسمع المتكلم فحسب بل نراه في آن واحد مهما تعددت الظروف والمناسبات ، بعيدا عن تركيبات الاستوديو واستعداداته المسبقة المصطنعة ، فكثير من المشاهد تعرض علينا في شكلها العفوي لم تعمل فيها يد الترتيب والتجهيز والتزيين ، ونحن لا نذهب اليه بل هو الذي يأتي الينا ونحن في عالمنا الخاص ، يقتحم الحجب علينا ويحتل دورنا بل غرف نومنا • فما أشد اختلاطه بحياتنا وما أسهل تناوله ، فاذا صدق القائلون بالنظرية القربية بأن الانسان أشد ما يكون تأثرا بالاشياء والاشخاص القريبين منه فان جهاز التلفزيون الموضوع في غرفنا ضمن اطار الاسرة الصغير لا تفصلنا عنه سوى بضعة أمتار نملك حرية تشغيله وتقويته ورفع صوته أو اخفاته لاشد تأثيرا على نفسيتنا وايحاء لحواسنا من تأثير فيلم سينمائي يعرض في قاعة كبيرة يشغل مقاعدها جمهور متنوع المشارب والاذواق والاتجاهات مختلف الاستجابات والارتكاسات •

ومن المسلم به أن الانفصال والانعزال أوعى عند الانسان المتحضر الى التجاوب مع المؤثرات النفسية

والصوتية والمرئية • وكفى بالتلفزيون قدرة له انه يكفينا مؤونة التنقل والمجالسة والمخالطة والملاحقة •

ومن المفارقات أن هذه الصفات ذاتها هي في نظر بعضهم مساويء فقد أصبحوا ولما يدخل التلفزيون بيوتنا كلها ، فأخذوا بعد ان انقضت فترة الدهشة والفرحة بهذا النزيل الجديد يتذمرون من التلفزيون فهم يدعونه بأنه أفسد عليهم السهرات والاسمار العائلية ، وأنه يحول دون قيام الاولاد بواجباتهم المدرسية اليومية ، وأنه حمل الى البيوت أخطار السينما والراديو بل أربى عليها ، فاذا كانت رقابة الاهلين عاملا وقائيا ممكنا يحد من ارتياد الاولاد والاحداث لدور السينما وسماع الراديو ، أو عملية اصطفائية لما يرون أو يسمعون فان زمام الامر قد افلت من أيديهم ، وأنهم – أي الاهلين – ضحية تجاذب عاملين : عامل الاستسلام والاذعان لمشيئة التلفزيون ، وعامل الاستغناء عن آلة سحرية عجيبة واداة تعبيرية لا غنى عنها تفرض وجودها فرضا •

وفي الواقع فان التلفزيون – رضينا أم أبينا – ظاهرة حضارية ذات مضمون اجتماعي وثقافي لا بد من تقبلها واجادة استثمارها لما فيه صالح الفرد والجماعة • ولا أدل على جاذبية التلفزيون من أن أشخاصا عديدين كنا نسمع بهم أو نسمعهم أو نقرأ لهم قد أصبحوا بعد ظهورهم على الشاشة كأنهم معروفون لدينا ، تجمعنا بهم أواصر خفية يتحدثون الى كل منا دون سواه حديثا خاصا ، فان متحدثا أو ممثلا أو خطيبا نشهده في السينما ، أو نسمعه في المذياع لا يملك من قوة الاقناع والاجادة والاغراء ما يعادل عشر القوة التي يملكها المتحدث أو الممثل أو الخطيب في التلفزيون وتعليل ذلك اننا أقدر في التلفزيون على تتبع الوجود الحي وأقرب الى المشاركة والاستجابة العاطفية مع من نشهد ونسمع •

ويستنتج من كلامي أن التلفزيون يقوم على أسس ثلاثة هي سر فتنته ورواجه • الايناسية وأعني بذلك أننا نشعر بأنه موجه الى كل منا في عالمه الصغير المنعزل ، والفورية وأعني بها أنه ينقل الينا المرئيات والمسموعات في انطباعات آنية متلاحقة ، والجماعية وأعني بها أنه وان كان ينقل الينا المشهود والمسموع فانه في الوقت ذاته ينبه الروابط الجماعية بين الافراد الذين يشعرون بوقت واحد باحاسيس وهزات واحدة فالتلفزيون عنصر هام في خلق ظاهرة التجمع والتوحيد الذهني والعاطفي في كثير من المجالات •

ان دخول التلفزيون الجمهورية العربية المتحدة متأخرا امكن القائمين على شؤونه من أن يفيدوا من تجارب وأخطاء ومحاولات الشعوب الراقية صاحبة الفضل في اختراع هذه الآلة العجيبة • ولما كنا لا نزال في بداية الطريق فان المشرفين على التلفزيون مدعوون الى عدم التأثر بمقتضيات الحاجة الملحة لارضاء الجمهور، ومستلزمات الظروف الانشائية السريعة التي تمت بها عملية التلفزيون وذلك بوجوب تتبع الوسائل الآيلة الى الافادة من هذا الاختراع على وجه أقرب ما يكون الى الكمال ، وعدم الوقوع في حبائل النمطية والروتينية ، وأن يعملوا بالدرس والبحث والاطلاع لكي يحفظوا للتلفزيون طابعه الثقافي التهذيبي الرفيع ، فقد عودتنا التجارب ان الجمهور يقبل طائعا أو متمردا ما يعطاه وما يفرض عليه ، هذا مع العلم بأنه ميال الى السهولة والسطحية والابتذال •

بقيت لي كلمة عن الصراع بين السينما والتلفزيون ، فقد اتضح ان هذا أخذ يزحم السينما ليحل مكانها ، في وقت تعاني فيه السينما أزمة وجودية خطيرة ، فقد دلت الاحصاءات على أن هوليوود كعبة السينما هبط انتاجها من سبعمائة فيلم في العام الماضي الى ما يقرب نصف هذا العدد ، وان عشرة آلاف دار سينما أغلقت أبوابها في العام الماضي في أميركا منها اثنتان عدد روادهما سبعة آلاف متفرج في برودواي قلب نيويورك لتصبح احداها مرآبا والثانية فندقا • كما أن ارتياد الجماهير لدور السينما في بريطانيا هبط بمعدل ٤٠٪ منذ ولج التلفزيون البيوت وتبع ذلك من سنة ١٩٤٥ – ١٩٥٩ ارتفاع في عدد الاجهزة اللاقطة المبيعة من خمسة عشر

اصول اللسان العربي ومغزاه العربي

بقلم: زكي الأرسوزي

قبل الشروع في اظهار خصائص الكلمة العربية وما لهذه الخصائص من تأثير على يقظتنا القومية نقدم ملخص رأينا في نشوء لساننا :

ظل اللسان العربي محتفظا ، بفضل بنيانه الاشتقاقي ، باصوله في الطبيعة وبمسالك نموه نحو اداة بيانية متكاملة ، فالكلمة لم تزل فيه على نشأتها الاولى ، صورة صوتية ، تحمل طابع المعنى الذي انشأها وتدل عليه دلالة المبنى على المعمم ، وبنيان هذا اللسان لم يزل يؤلف كلا حيا ، تنسجم فيه المقومات كالنحو والكلام والنغم ، انسجام الانسجة في البدن .

ولما كانت الحياة نفسها قد اشتركت مع الافراد في انشاء هذه الاداة من البيان ، فقد جاءت المفاهيم المنطوية في كلماته ، حدوسا صادقة في طبيعة الاشياء ، وهكذا ، تكمن المفاهيم ، أصول مؤسساتنا في كلماتنا ، كمون الحياة في بذور النبات . واذا كانت الطبيعة تستجلي نوع الحياة الكامنة في البذرة ، فكذلك الفرد يستجلي بخياله . تجربة الحياة المتبلورة حدسا في الكلمة . مثل الكلمة العربية من معناها ، كمثل النغم من الهامه في الانشودة ، يبعث النغم بنزعته التي يشترك فيها مع شقائقه ، الانغام الاخرى ، الالهام ، مصدر وجود الانشودة ، وتحول الكلمة العربية الحدس ، مبدأ الاشتقاق ، من حالة ابهام الى وضوح تام ان انسجمت هي وشقائقها ووجهت المعاني المشتركة فيما بينها ، توجيها متقاربا في الوجدان ؛ وعندئذ تصبح في أسرتها بمثابة مصباح في ثريا ، يزداد وضوحها ويتكون معناها .

ان اللسان العربي ، اذا درس دراسة توليدية هدانا الى استجلاء آية الامة التي أنشأته تعبيرا عن ذاتها ، فأودعت فيه تجاربها ورسمت بمنحنياته سمتها ، حتى أصبح منها كالجسد من النفس ، وهدانا أيضا الى انشاء ثقافة انسانية نامية ، أصولها في الطبيعة ورائدها الملأ الاعلى .

هذا فضلا عن أن دراسة لساننا ، تكشف لنا عن نهج الحياة في ايجادها أداة بيانها ، فتساعد على حل المشكلة التي استعصى على العقل حلها ، ألا وهي مشكلة اللسان ذاتها .

ألف جهاز الى تسعة ملايين . وهكذا قل في معظم البلاد المتقدمة حضاريا والمنتجة للسينما .

ان هذا المد التلفزيوني الخطير حدا بأرباب السينما الى التماس الاسباب الوقائية كانتاج أفلام ضخمة كبرى ذوات الشاشة الواسعة جدا تصرف في سبيل اعدادها مبالغ اسطورية كل ذلك حفاظا على الجمهور وتحويلا لانظاره عن التلفزيون . على أن هذه الاساليب وان لاقت في البداية نجاحا الا أن الزمن أثبت أنها أساليب وقتية هي أقرب الى التخدير منها الى حل جذري ، فقد اضطرت شركات كثيرة حبا بالبقاء الى تحويل انتاجها الى أفلام تلفزيونية .

ولا شك في أن هناك عوامل كثيرة لتعليل تقهقر السينما كاستنفاد السينما لموضوعاتها وامكانياتها وغلبة الطابع الكلاسيكي المعاد عليها الذي ملته الجماهير ، واكتسابها طابعا صناعيا على حساب الفن ، ومنها التطور الديموغرافي أو الاسكاني والعامل الاقتصادي وارتفاع مستوى المعيشة أو انخفاضها والقدرة الشرائية عند الجماهير ومنها العامل النفساني عند الجماعات . أما نحن فاننا في هذه المرحلة من تطورنا من أكثر الامم تقبلا للتلفزيون وذلك لتأصل التقاليد الاخلاقية وتمكن روح الاسرة في النفوس يقابله فقر المجتمع العربي على العموم وخلوه من المغريات مما يدفع الفرد الى الانكفاء الى عالمه الداخلي مستغنيا به عن العالم الخارجي .

وهل تقف دراسة هذا اللسان البدى والبدائي عند الفوائد المتقدم ذكرها ؟ انها سوف توضح العلاقة بين اللغات السامية واللغات الهندية ـ الاوربية ، على اعتبار أن اللسان العربي كلمات انشئت طبيعة ؟ انشئت من أصوات مصطفاة من بين بوادر الشعور الطبيعية .

حتى أن هذه الدراسة ، سوف تبين لنا حدود العلاقة بين المعنى والصورة ، وسوف تهدينا الى الاسباب التي تجعل الكلمة العربية صورة حية ، تفيض على المفاهيم الكامنة فيها بيانا صوتيا مرئيا ، يكسبها حلة من الشعر .

ولما كان اللسان العربي مؤلفا من كلمات ذات بنية عضوية فقد كون انسجام مقوماته مصاعد ارتقى عليها الذهن نحو المفاهيم في مصادرها . وقد أصبح متكلموه متصفين بطابع رحماني ، يمتازون به عن سواهم من الاقوام بالميل الى الاخلاق والفن .

* * *

كيف ظلت مزايا هذا اللسان مجهولة حتى الآن ؟ أيرجع السبب في ذلك الى الاختلاف بالعبقرية ، بيننا وبين الذين أولوا عنايتهم دراسة لساننا ؟ أم يرجع السبب الى أن أعلام اللغة ، وجلهم من الاعاجم ، قد أدركوا بنيان كلا منا من خلال عقليتهم ، فدونوا قواعده على مثال قواعد لغتهم ؟

ومهما يكن السبب في ذلك ، فان دراسة لساننا يظهر فيها التقصير ، ولا سيما في تنظيم معاجمنا ، حيث ظلت الرابطة الاشتقاقية على حدود العلاقة بين الفعل ومشتقاته الاسمية والفعلية ، بينا هذه العلاقة تشمل جميع الافعال التي ترجع الى صورة صوتية مقتبسة مباشرة عن الطبيعة . فعلاقة فعل « خرق » ، مثلا ، تقف في المعجم على الكلمات التالية : الخارق (مايخرق العادة) والمخراق (الممر) والمخرقة (المثقبة) والمخارق (المنافذ) ، في حين أن العلاقة المذكورة تشمل الافعال التي ترجع الى أرومة « خر » الماء خريرا ، الصورة الصوتية ـ المرئية الاولى ، اي أنها تشمل الافعال التي نشرت في خيال تأثر الماء في مجراه : خربا (خرب) ، خروجا (خرج) ، خردا (خرد) ، خرما (خرم) خرزا (خرز) .. الخ .

وعلى هذا ، فالكلمة العربية ليست اذن ، رمزا يلتصق به المعنى عرضا واتفاقا ، كما هي الحال في تعريف الكلمة في اللغات الاوروبية ، بل انها صورة تتألف من صوت وخيال مرئى ومعنى هو قوام تآلفهما . فالصوت في الامثلة المتقدم ذكرها هو صوت خرير الماء ، والخيال المرئي هو تأثير الماء في مجراه ، خربا ، خرقا .. والمعنى هو الحدس الكامن في مبدأ الاشتقاق .

وأما الاصوات التي استحدث منها الذهن العربي معظم كلماته ، فترجع الى ثلاث مصادر أصوات في الطبيعة كصوت غليان الماء : فق فقفق ، وصوت سقوط الماء متقطعا : تر الماء ترتر . ومن صوت فق استحدث الذهن الكلمات : فقأ الدملة ، فقح الكلب عينيه ، فقص النقف من البيضة .. الخ . هذه الافعال هي ومشتقاتها الفعلية والاسمية تنطوي على خيال الفقاقيع المتفتحة عن داخلها . (٢) وأصوات تحدث في الفم استفاد منها الذهن العربي في صنع اداة بيانها : قطر ، القطر ، القطب ؛ قطر ، القاطرة ، قطع ، قطم ، القطاة . (٣) وأصوات هي بادرة من بوادر الهيجان الطبيعية كصوت : أن أنينا وبتحول الهمزة فيه الى شقيقها من حيث المخرج : ع ؛ ح ، استحدث « عن » عنيناً ، و « حن » حنيناً .. ويؤخذ من الامثلة المتقدمة أن الذهن العربي قد سلك منهجين أساسين في صنع الكلمات : الالحاق والنحوية . الحق هذا الذهن ب « بت » أحرفا سببت بصنع الكلمات : البات ، الباتر ، الابتر ، الابتع ، البتيلة ، بتر ، الباتر ، تبتل ، الابطح ... وحول حرف « تا » فاستحدث بهذا التحويل الكلمات : بد ، بدد ، بدأ ، المبدأ ، البدى ، بدر ... ومن تحويل « تا » في ترتر استحدث در الحليب ، ذر ، خر ، (بالتضاد) .

وهناك نمط آخر في صنع الكلمات ألا وهو النحت: غرنيق من غرانيق ، عبقرى من عبق وقره سلحفة من سل ولحف ..

هكذا أنشأ الذهن العربي لسانه من أصوات طبيعية ، مستندا في هذا الانشاء الى حسن الرؤية ذي التلوين الدقيق .

القلق .. والحرف و .. أنت

شعر : يوسف علي حسن

الام أسائل عنك الام / أتيه بدنياك في غيهب ..
وكفاي للوهم مبسوطتان / ورأسي طريح على مكتب ..
ومن بعد سبع سنين طوال / أسائل نفسي : ألم أتعب ؟
أعيش على خفق طيف الغداة / وأمشي من الصعب للاصعب
وكم أشتهي حيزا مقفرا / عديم المسالك في جانب ..
وتابوت عمري هنا يستقر / بأعماق مستنقع مجدب ..
تنق الضفادق في ضفتيه / ويغري الخفافيش بالمشرب
عصرت ـ وياطول ماقدظمئت ـ / صباح عيوني لكي تشربي
وسمرت في كوكب جانحي / وأحلامي السود في كوكب ..
ليبدع رسمك عنف جواي / وشوق هواي الغرير الصبي
خلقتك من ريشتي بدعة / خيالية الفن والمذهب ..
خلعت على وجهك الناصري / جلال الـه وطهر نبي
وشئتك أهلي والاقربين / فكنت شقيقي وكنت أبي
اذا أمطرت مقلتاك الصفاء / وهليت بالموسم الطيب ..
فما ضر لو صوحت واحة / وشح سحاب السماء الغبي ..
مواسمك الحب .. ياللعطاء السخي ودفء العطاء الابي

● ●

يسائل عنك هواي اللجوج / سألتك بالله .. لا تسألي
أتيحي لعاطفتي الانطلاق / من القمقم المقفل المهمل
دعي لظنوني المدى كي ترود / سماوات عالمك المخملي
وتومي لاجنحتي أن تسوح / على زرقة الاجمل الاجمل
أحن الى بوحك الشاعري / حنين العطاش الى المنهل
ويقتلني عقم هذا الفراغ الممدد كالموت في هيكلي
فألقاك في خاطري فكرة / ضبابية اللون .. لا تنجلي ..
تلوح كأنأى من المستحيل / كأقسى من الفأس والمنجل
أريدك لي في طريقي الطويل / رفيقة درب الغد المقبل
بكل رغائب هذا الشباب / بكل اندفاع الهوى الاول
ويوم يرق فؤاد الزمان / وأعرف أنك أصبحت لي ...
وأنك أكثر مما أردت / وأروع مما أشتهي منزلي ...
غدا اذ تضمك هذي الذراع / وأشهد مولد صبح جلي ..
وتسبح روحي اما استقرت / بعينيك في خدر مذهل :
تجن انعتاقا حروفي الجياع / تغني البراعم في مشتلي
وتشرق من أغنياتي الحياة / لتغرق بالشمس مستقبلي

اللاذقية — يوسف علي حسن

صياد على الخليج

شعر : حسن الخطيب

كان أسود
كان قطرانا تجمد
وعلى الرمل تمدد

* * *

يرقب الامواج في عرض الخليج
والجواري منشآت كالبروج
وهو يجمد ..

* * *

ناكس الجبهة محفور الجبين
باحثا عن رزقه عبر السنين
في نحول يتجدد

* * *

هكذا في الفجر أو عند الغروب
ومع القيظ وساعات اللغوب
يتعبد ..

* * *

أي حلم في لياليك الاليمه
أي شيء في أمانيك القديمه
يتجسد ..

* * *

أي صيد قاده الموج اليكا
يا أخي قد ضحك الدهر عليكا
فتمرد ..
ودع الرمل الممدد ..

كويت ــ حسن الخطيب

لوسيان .. الكاتب الساخر

بقلم : سعد صائب

حياتـه

لم نكن نعلم البتة شيئا عن حياة لوسيان الخاصة [1] لولا ما أنبأنا به هو نفسه في بعض مؤلفاته بخاصة (الحلم) و (التهمة المزدوجة) و (المذنب) و (الدفاع) كما أننا نجهل تاريخي ولادته ووفاته ، ولكننا نعلم أنه حين كتب مؤلفه (هيرموتيموس) حوالي عام ١٦٥ أو ١٦٦ للميلاد كان في العقد الرابع من عمره ، مما يحدونا الى الافتراض أنه ولد في عهد الامبراطور الروماني (هادريان) [2] حوالي عام ١٢٥ .

نشأته

نشأ لوسيان في مدينـة سميساط الواقعة على نهر الفرات الاعلى ، وكانت آنذاك عاصمة (الكوماجين) ـ ديار بكر اليوم ـ ويتكلم أهلها اللغة الآرامية ، وهي أولى اللغات التي تكلمها لوسيان . أما أبواه فكانا من طبقة دنيا ، كان أبوه يحترف حرفة يدوية وكانت أمه ابنة مثال لها أخوان زاولا حرفة أبيهما . وهكذا ما ان غادر لوسيان المدرسة حتى زج به عند أحدهما ليدربه على صنع التماثيل، ولكنه لم يلبث لديه طويلا اذ كلفه تسوية نموذج من المرمر أهوى عليه بضربة حادة من مطرقته فحطمه ، مما دعا خاله الى أن يقسو في عقابه ، فلم يستسغ هذه القسوة وفر هاربا الى أمه التي غاظها أسلوب أخيها في تعليم ابنها ،

(١) اعتمدنا في كتابة هذه الفصول على المقدمة الضافية التي كتبها (اميل شامبري) لترجمته الكاملة لآثار لوسيان .

(٢) هادريان : امبراطور روماني ولد عام ٧٦ ميلادية وحكم من عام ١١٧ الى عام ١٣٨ وهو ابن تراجان المتبنى، وخليفته في الحكم وقد ازدهرت في عهده الآداب والفنون والصناعة .

وارتضت تخليه عن هذه الحرفة ليتابع الدروس التي يهواها .

والسؤال الذي بوسعنا أن نطرحه : ترى أين تابع هذه الدروس ؟ ليس ثمة جواب واحد وأغلب الظن أنه أرسل فورا الى (ايونيا) [1] ولعله لم يبلغها الا متأخرا ، ولقد كانت (ايونيا) آنذاك متحفا حقيقيا على حد تعبير (فيلوسترت) [2] فمنذ عهد (الانطونيين) [3] عاد السلم والرخاء الى الامبراطورية الرومانية وعني بالفلسفة والتاريخ والبلاغة ، فتجلت هذه النهضة في (ايونيا) بأجلى مظاهرها، اذ أسست فيها المدارس وجلب لها أشهر أساتذة البلاغة أمثـال (سـكوبليان) القلازومي و (بوليمـون) من (لأوديسة) [4] وسواهما من فحول الاساتذة الذين أثاروا الحماسة في نفوس الشبيبة الظامئة للمجد .

ولقد بلغت سميساط شهرة هؤلاء الاساتذة ، فعرف لوسيان سبيله الى مدرستهم ، كيما يستكمل معارفه في اللغة والبلاغة اليونانيتين . وهنا نتساءل ترى من كان أستاذه ؟

(١) ايونيا : بلاد في آسيا الصغرى القديمة تقع على شاطىء البحر بين ازمير ومندليا ، كان يقطنها مغتربون يونانيون .

(٢) فيلوسترات : كاتب يوناني عاش في القرنين الثاني والثالث ولد في بلدة ليمونوس عام ١٧٥ وتوفي حوالي عام ٢٤٩ م .

(٣) الانطونيون : اسم أطلق على سبعة أباطرة رومانيين هم : نيرفا ـ تراجان ـ هادريان ـ انطونيو ـ ماركوس ـ اوروليوس ـ كومودوس . تولوا الحكم من عام ٩٦ الى عام ١٩٢ م .

(٤) لأوديسة : اللاذقية اليوم .

ان لوسيان لم يخبرنا عنه ، ولكننا نؤكد أن توجيهه كان حسنا ، اذ نراه على ضوء الفقرات التي يبثها في مؤلفاته ، أنه درس جميع المؤلفين الكلاسيكيين ، واستظهر أشعار هوميروس ، وقرأ هزيود ، وثيوفنيس ، وبندار ، وسيمونيد ، كما اطلع على آثار الدراميين ، وبخاصة اوريبيد ، والهزليين كأرسطوفان ، دون أن ينسى الفلاسفة كأفلاطون ، وأرسطو ، وقريسيب ، وأبيقور ، وقرأ أيضا للمؤرخين كهيرودوت ، وتوسيديد ، وكزينوفون ، وللخطباء وبخاصة ديموستين ، الذي خصه باجلال يشبه العبادة . وما أن انتهى من دراسته هذه حتى امتهن المحاماة ، وراح على حد قول (سويداس)[1] يرافع في انطاكية حقبة من الزمن ، ما لبث أن هجرها ، وغادر انطاكية ، ميمما وجهه شطر أثينا مستعيضا عن مهنة المحاماة بمهنة السفسطائي ، اذ كان السفسطائيون آنذاك خطباء ، يتنقلون من بلد الى آخر يلقون انى حلوا خطبهم أمام الاغنياء ، يجنون منها مالا وفيرا وشهرة بعيدة .

أما لوسيان الذي أحس بأنه ملك ناصية الكلام فقد مضى يقيم على غرارهم حفلات عامة بيد ان ما عاناه من مرض مستعص الم بعينيه أرغمه على النزوح الى روما ليستشير طبيبا في العيون ذائع الصيت فالتقى هناك بالفيلسوف (نيقرينوس) الذي سبق وتعرف عليه في أثينا . فأثرت فيه خطب هذا الفيلسوف تأثيرا لا حد له حتى أوشك أن يكرس نفسه للفلسفة وحدها ، بيد ان حب المجد ظل يراوده فما ان عاد الى أثينا حتى زاول السفسطائية ومضى يتنقل ، فعاد ثانية الى ايطاليا ، ومنها انتقل الى بلاد الغال ، في فرانسا وقيل انه درس البلاغة اليونانية في احدى مدن وادي الرون ، وكان يتقاضى عن تدريسه أجرا باهظا ، ومما يؤكد هذا القول الفصل الذي كتبه وعد له مرارا بعنوان (تسويغ) . ولعل لوسيان قد رضي في بلاد الغال ، كما رضي في سواها من البلاد بجولة يلقي فيها محاضرات كانت تدر عليه

(١) سويداس باحث لغوي يوناني ظهر في القرن العاشر للميلاد .

مالا وفيرا ، وما أن ألفى نفسه ذا ثروة حتى انثنى الى سميساط يباهي مواطنيه بما ادخر من مال ، وما نال من مجد ، ولكنه ما عتم أن عاد ثانية الى أيونيا ، ومن الثابت لدينا انه كان في انطاكية حين نشوب حرب (البارتيين[1]) اذ شاهد فيها الامبراطور لوقيوس - فيروس الذي تولى قيادة هذه الحرب وما أن بلغه ان في أزمير وربما في ايفيس[2] لفيفا من أولئك السفسطائيين قد لاثوا الكلام خلال أحاديثهم في هذه الحرب حتى دفعه حمقهم وانحطاطهم الى كتابة مؤلفه (طريقة كتابة التاريخ) بيد ان أثينا كانت تجتذبه فغادر انطاكية مع أهليه للاقامة فيها وسلك في رحلته هذه طريق قبادوس[3] حتى اذا ما بلغها ترك والده وأهله يتابعون طريقهم نحو الساحل ، ومضى وحده الى ابونوتايخوس ، بافلاقونيا ، لرؤية العراف الشهير (اسكندر البافلاقوني) محاولا الكشف عن دجلة ولكن العراف الماكر أخفى عنه حقده ، وأظهر له مودته وعرض عليه أن يعيره عند مبارحته اياه زورقا مع جذافين أوعز اليهم أن يلقوا لوسيان في اليم ، ولولا نداء الضمير الذي بدا من أحد الجزافين لهلك غرقا ، ولكنه اضطر للنزول في ابيال ومنها مضى الى اماستريس في أثينا وغادرها مبحرا الى طروادة على ظهر السفينة التي كانت تقل الفيلسوف الكلبي الشهير بيريقرينوس الذي قضى محترفا في الالعاب الاولمبية فأوحى الى لوسيان كتابة مؤلفه (بيريقرينوس) وحل في كورنثا حوالي نهاية عام ١٦٤ أو بدء عام ١٦٥ ومن ثم استقر في أثينا ولم يبرحها خلال عشرين عاما اذ كان يقدر المجتمع الاثيني الذكي الراقي حق قدره لما ساده من حياة فكرية خصبة ، ولما يكنه هذا

(١) قوم يطلق العرب عليهم ياجوج وماجوج قضى عليهم الامبراطور تراجان .

(٢) افيس : بلدة في ايونيا على شاطىء بحر ايجه شيد فيها معبد للالهة ديانا وكان يعد أحد عجائب الدنيا السبع ، وقد أحرقه اوروسترت .

(٣) قبادوس : بلدة واقعة في آسيا الصغرى قرب أرمينيا .

المجتمع ذاته من تقدير واع عميق لكل ماله صلة بالقضايا الفكرية • وما أن بلغ لوسيان الاربعين من عمره حتى كان العمر والتفكير قد أنضجاه فاعتزل السفسطائية وأوهامها وعاد ثانية الى الفلسفة وبالتالي الى الاخلاق العملية ، التي هي الجانب الجوهري من فلسفة العالم الاغريقي - الروماني ، ليس لتخطيط النظرية الاخلاقية فحسب بل لكشف القناع عن الرذائل وجعل الاراذل اضحوكة الناس •

يقول لوسيان في مؤلفه (المذنب) ان مهنتي هي كره المتحذلقين والدجالين ، والكذابين ، والمتكبرين ، واني لابغض هذه الذرية من الاراذل •

الفلسفة : وحق هيراكليس ان في هذه المهنة لما يدعو للكره •

لوسيان : هذا صحيح وانت ترين كم جلبت لي من أعداء وفي أي المخاطر أوردتني •

والواقع لقد جلبت له الفلسفة اعداء ، كثيرين بخاصة الكلبيين ، الذين أوشكوا أن يمزقوه شر ممزق - على حد تعبيره - لانه سخر من دجل أحدهم بيريقرينوس ، كما أثارت ضده محاورته (المذاهب الفلسفية في المزاد) جميع المنتمين الى مختلف المذاهب الفلسفية ، وسببت له متاعب جمه مع النحوي بوللوكس ، معلم جماهير أثينا البلاغة ومؤلف كتاب (معلم نفسه) وهو الذي سخر لوسيان منه ومن تعليمه في مؤلفه (معلم البلاغة) أما أصدقاؤه فلسنا نعرف منهم الا ديموناقس وهو الفيلسوف الذي كان يقرن سلوكه بمبادئه والا بعض اصدقاء يشير اليهم لوسيان في مؤلفاته أمثال كروموس ، سابينوس ، فيلون ، ثيموقلس ، ولم يكن هؤلاء بالنسبة لنا الا أسماء ، ويبدو انه تزوج متأخرا اذ نراه يحدثنا عن ابنه وهو صغير في مؤلفه (الخصي) الذي كتبه في نهاية عهد الامبراطور ماركوس أورليوس [1] كما يبدو أن مهنة (الرقيب) التي كان يمارسها في أثينا لم تكن مجزية كما كانت مهنة المحامي والسفسطائية • وبوسعنا أن نتكهن بان العشرين عاما التي أمضاها في أثينا قد أحدثت ثغرات عميقة في ثروته ، ومن المحتمل انه اضطر الى ترك أثينا حوالي عام ١٨٥ كما اضطر الى العودة الى القاء محاضرات عامة كيما يسد تلك الثغرات ثم ما لبث أن حصل على وظيفة رسمية في الادارة الامبراطورية في مصر •

والسؤال الذي نطرحه ترى ما هي هذه الوظيفة ؟

الواقع ان لوسيان لم يتحدث لنا عنها بيد انه عرفها في مؤلفه (دفاع عن الاجراء) • اذ قال « أعين الجلسات ، واحدد دورها ، وامسك سجلات امينة لكل ما يجري وما يقال ، وانظم دفوع المحامين ، واحفظ قرارات القاضي ، واودعها المحفوظات العامة » ويستطرد قائلا انه كان يتقاضى لقاء ذلك اجرا باهظا ولكنه كان يطمح الى منصب أعلى ، كحاكم في اقليم مثلا ، الا انه توفي قبل ان يحقق هذه الامنية التي ظلت تراوده طوال حياته • ولقد زعم سويداس ان الكلاب مزقته ، يعني بذلك الفلاسفة الكلبين ، الذين مزقوا لوسيان شر ممزق ، ولكنهم لم يؤثروا فيه أي تأثير •

ولقد حدد المؤرخون زمن وفاته حوالي نهاية عهد كومودوس [2] ، أي قبيل عام ١٩٢ مما يدلنا على أنه توفي وله من العمر ٦٧ عاما لا ٨٠ عاما كما قيل •

دمشق — سعد صائب

---

(١) ماركوس أورليوس : من أعظم أباطرة الرومان امتد حكمه من عام ١٦١ الى عام ١٨٠ وصمد أمام غزوات البربر الذين كانوا يهددون الامبراطورية الرومانية فهزمهم وقد عرف بحكمته واعتناقه المذهب الابيقوري وله كتاب بعنوان (خواطر) •

(٢) كومودوس : امبراطور روماني تولى الحكم بعد ابيه ماركوس من عام ١٨٠ الى عام ١٩٢ وقد اشتهر بظلمه ومات مسموما •

قديم...

شعر: أبو الفرج الببغاء

بأبي الغائب الذي لم يغب عـ ـني فأشكو اليه هم المغيب

باشرته كف الطبيب ، فلو نلـ ـت الاماني قبلت كف الطبيب

فعلت في ذراعه ظبة المبـ ـضع أفعال لحظة بالقلوب

فأسالت دماً كأن جفوني عصفرته بدمعها المسكوب

طاب جداً فلو به سمح الدهـ ـر لأمسى عطري وأصبح طيبي

...وجديد

موت .. وبعث

شعر : حامد حسن

سأموت بعد غد ، وبين أضالعي سر عن العطرات ... غير مذاع

وأحس آهك في السرير ، وحوله فأغيب ... ثم أغيب في أوجاعي

سأموت .. لا ، سأعيش ان على فمي نغما غنوج اللحن ، والايقاع

سأموت .. لا ، سأعيش للنغم الذي تأبى الحياة ضياعه ، وضياعي

سأموت بعد غد ، وأبعث شهقة في ناي راعية القطيع .. وراع

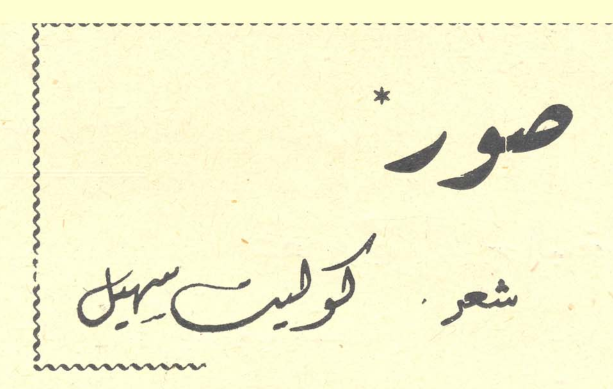
سأعود من خلف الغيوب ، يحف بي للشاطئين حنين كل شراع

سأعود نيسان الحياة ، وزهوها وعطورها ، ورفيف كل شعاع

أنا عائد .. أطوي الدهور اليك من خلف الحياة ... وألف ألف قناع

نبحت وحوش دمي .. فدب عقارب في كل جارحة ... وفح أفاعي

يا عاج يا كرز الالوهة ضج بي جوعان : جوع فم وجوع ذراع



قصيدة بالفرنسية للشاعرة كوليت سهيل
عربتها بنفسها لمجلة الثقافة

في الاعالي
كل نجمه
تتهادى في غلاله
سرقتها من بحيرات الحنين ...

وهناك
في الاعالي
كلمات تضمحل
ودموع تستكين ...

في البعيد
كل شيء يتلاشى ويضيع
مثل نقطه
كل شيء سائر نحو الزوال ...

وهناك
في البعيد
لحن حب يتعالى
نغمات تتفانى في السؤال ...

* *

Colette Souheil

Là haut
Chaque étoile
Prend un voile
Dans les eaux...

Tout là haut
Les sanglots
Les mots
Font trève

Au loin
Ephémère
Tout se perd
Comme un point...

Tout au loin
Un refrain
Soudain
S'élève...

* *

(*) من مجموعة « رعشة » التي صدرت للشاعرة

Du recueil Frisson

وهنالك
خطوات تتسابق
زفرات تتلاحق
ونفوس تستعيد الذكريات ...

وهنالك
ينتشي قلب
ويحلم
يتغنى بعذاب الأمنيات ...

وهنا .. يا لهنا نحن نعيش
ومضات في الفضاء
تتأسف
للمواعيد التي سوف تولي
ثم يطويها الفناء ...

ههنا نحن ننادي
فنذوب
في الغناء ...
ونغني ... ونغني ...
من سيسمع
يا ترى هذا الغناء ...؟

Là bas
Des soupirs
Des plaisirs
Et des pas...

Tout là bas
Un cœur bat
De joie
Et rêve..

Ici
On regrette
Chaque fête
Qui s'enfuit

Tous, ici
Apprécient
La vie
Trop brève..

ليلة الميلاد

للاديب الكبير : امين نخله

في ليلة الميلاد يجب أن يطن الجرس وأن يقع المطر ، وان تتكاثف العتمة ، او لا فان يسوع لا يولد في زاوية الكنيسة حيث تكون « المغارة » قد عيل صبرها في انتظاره !

وان لصاحبنا القسيس ان يروح ويجيء • خلف المذبح عبثا ، يوم لا يتحرك الجرس ، ولا يسقط المطر ، ولا يدلهم الليل • فاننا نحن من الذين لا يطأون عتبة الكنيسة ليلة الميلاد ولا يوقنون بولادة « الطفل » في الزاوية قبل أن تغرق أرجلهم في الامطار والعتمات ، ويملأ رنين الجرس أجواء الفضاء !

هكذا قد طبعنا ، منذ نعومة الاظفار ، على هذه المسيحية الشعرية ، ذات الحمل الحبيب وانه يوم ينقص قصيدتها الخالدة شيء ، من مثل سكون ناقوس أو محو عتمة ، أو احتباس مطرة ، فانما تقع التبعات في ذلك كله على كتفي القسيس ! وعندنا ، في الرأي له ، يوم تقمر ليلة الميلاد ، لا سمح الله ، ان يخلع عنه الجبة السوداء ، فينشرها في الجو يسد بها الاضواء هنا وهناك ، ثم يصعد الى قبة الكنيسة فيزلزلها من قرع الجرس ، أما استنزال المطر ، وهو ليس اليسير الذي في اليد ، فيكون على صاحبنا ان يعد له العدة ، قبل ليلة الميلاد بكثير ! فيبيت يصلي ازاء الليالي ، يكشف عن صدره ، ويدق عليه دقا شديدا • فان المطر — كما يقول شيوخ القهارمة من رهبان « الشرتريز » وهم الذين يعتصرون ، كما نعلم اشهى العناقيد في اشهى الاقبية — رحمة دافقة لا تستنزل على الكروم والجفان بالهين ، هكذا ، بل بالصلوات والضراعات تحت سواد الليالي •

وان الكنيسة التي لا تمطر في ليلة الميلاد بوابل هطل ، يكون قسيسها ، فيما يظهر ، قد قضى ليالي السنة في غير ما يجب • فما يجديه لعمرك ، ليلة الميلاد ، وهو بين جيئة وذهوب وراء المذبح ، يضع كلمات يضرع بها الى الله ، في عجلة ، لكيما يرحمه بدفعة من المطر •

ولقد عطفني قلبي ، ذات مرة ، على راهب فتي ، في مقاطعة عاليه ، من بلاد الجبل ، رأيته ليلة الميلاد في كنيسة القرية والكنيسة على اسم القديس انطونيوس ، ابى الرهبان فاتفق أن الليلة كانت قد ملئت بضوء القمر فكان الصباح يتفجر في جوفها ، وكأنما مسح على الجو بلون الحمام الازرق •• حتى ليستطيع الكاهن ، مثلا ، ان يعد خيوط جبته واحدا فواحدا !

فافاقت القرية على صوت الجرس يلعلع من قبة مار انطونيوس • ولكن الجماعة اطلوا من النوافذ ، فاذا الليل أبيض والسماء لا تجود بقطرة فما صدقوا ، آذانهم فيما يسمعون ناحية الكنيسة • اذ لا يدخل على عقل واحدهم أن يسوع الفقير المشرد يكون له أن يجيء الى الدنيا في تلك الليلة الصافية ، وذلك الجو الهنيء •

ولفرط النكاية بالراهب المسكين انقطع حبل الجرس في يده ، من قوة الشد ، وساد السكون الكنيسة ، بل القرية ، بل الضاحية من أطرافها ، بل هو قد ساد الليل جميعا ، من مغامضه في الوادي الى سبحاته البعيدة في أعنان السماء • فخرج الراهب الى باحة الكنيسة ينظر كيف يصنع والباحة مقفرة ، والبيوت بعيدة والجرس قد انقطع حبله ، فراح يتمشى ، في غير وقار ، ويتلفت الى كل جهة ، حتى وقعت عينه على نهايات الافق فوق التلة ، حيث تتجمع النجوم الصغيرة ، وكأنما هي تتغامز

في ما بينها فحول وجهه ، وهو يسأل القديس انطونيوس أن يطرد عنه الشيطان .

ولكن الصبح يكاد يتفتق ويكاد لا يلمع سراج بين البيوت ، ولا ترن خطوة في درب الكنيسة . فكيف يفعل راهب مار انطونيوس بالمطر الذي لا يتساقط ، والليل الذي لا يظلم ؟ بل كيف يفعل بالجرس نفسه ، وقد انقطع الحبل ؟ العيد في الكنيسة ، وحول قناطرها ، ويدوي صوت الجرس فان الامطار تساقطت من أفواه القرب عند الكاهن ، هناك ، واحلولك الليل ، وهرع القرويون الى الكنيسة ، وطاب العيد .

ونظر صاحبنا الى ذلك كله من بعيد ، وهو ما برح يتمشى في الباحة الحزينة فحسد « بالرب » جاره ، الذي فوق كنيسته يقهقه الرعد ، ويلتمع البرق ، ويعتم الليل ، ويمطر على حين ان الصباح ، ههنا ، يكاد يغمر الكنيسة ولو سلم له الحبل ، في الامل ، تجمع اليه شرذمة من القرويين ، ووقف يعتذر اليهم بالحسنى عن احتباس المطر ، وصفاء الفلك ، مخافة ان يحسبوا ان الذنب ذنبه ، هو ، في ليلة ميلادية سمراء بيضاء ،كانها صباح بلا شمس !

ذلك ، وفي القرية المقابلة يضج وتزلق انواره على حيطانها ..

فانطبق من الحزن صدر المسكين وطفر دمعه ، وأحس شيئا يقرص نفسه وراء ذلك ، ويلذعها ، فكأنما هو الذي أمسك المطر في العيد ، وكأنما جاره ، في القرية المحاذية ، قد هيأ لليلة السحائب والعتمات ما ينبغي من ضراعة وصلاة ..

ثم كيف يكون له ان يلقى ابناءه في « الرعية » بوجه الراعي المطمئن ، الهانىء القلب بعد ان نفروا عنه « ليلة المزود » وعافوا الابقار والاغنام ، في ابرك المواسم ..

وكان الصباح قد أطل كوجه العروس ، وضحك الشجر ، فتهافتت نفسه من الحزن ، ولمعت مرآة السماء ، فهرع الى زاوية الكنيسة يتوارى عن هذه المباهج .

وما هي الا قليلا ، حتى استجاب الطفل في الزاوية ضراعة الراهب المسكين ، فساق اليه ، من بعض البيوت واحدا من فتيان القرية ، وقد جاء الكنيسة ينظر ما حل بالكاهن فاشعل الرجل شمعتين اثنتين ، وأوقد المبخرة ، وصعد المحترم درجات المذبح ، وهو متثاقل الخطوات ، مهدود النفس ، يكاد لا يقدر على شيء من الصلاة الا بصوت خافت .

ولقد كظمها راهب مار انطونيوس على الشيطان الرجيم ، الذي زين له في ذلك العام ، ان لا يعد لليلة الميلاد عدتها المنشودة . فلما كان العام القابل ، وقد عرف هذه المرة كيف يستنزل المطر ليلة الميلاد ، وتغرق القرية في العتمة ، ويلعلع صوت الجرس الى مطلع الصباح ، طاب العيد ، وعج الموسم في كنيسة مار انطونيوس ، واشرقت من الفرح أسارير القديس الشيخ، في الصورة الكبيرة .

صدر حديثا

عن دار مكتبة الحياة ببيروت

اليوم الموعود

للكاتب : م . هولاشكو

ترجمة الكاتب المعروف

الدكتور صباح محي الدين

فن القصة القصيرة*

بقلم : ماهر نسيم

أجمع النقاد والباحثون في الآداب والعلوم الانسانية والفنون ، على أن فن كتابة القصة القصيرة من أصعب هذه الفنون قاطبة ، لان القصة القصيرة أشبه بقطاع صغير يستخلصه الباحث البيولوجي أو الفيزيولوجي أو الكيميائي من مادة حية دقيقة .

بل ان بعض النقاد والباحثين المرموقين يذهبون الى أن مثل هذا القطاع الصغير الذي تمثله القصة القصيرة يمثل - في الواقع - مجموعة دقيقة من قطاعات أصغر أشبه بالخلايا الدقيقة التي تتكون منها أنسجة الجسم وأليافه . ومعنى هذا كله أن القصة القصيرة - باعتبارها تشريحا دقيقا لقطاع صغير جدا من جسم المجتمع - عمل صعب عسير ، اذا ما أراد القاص أن يسمو بفنه ، وأن يرتفع بمستوى « فنية » العمل الادبي . فليس يكفي لكي يكون القصاص ناجحا أن تكون قصته ذات « حبكة » قصصية ، وليس يكفي أن تكون هذه القصة عامرة بعوامل «التشويق» و «الاستثارة» ، ولا أن تكون أحداثها «منطقية» و «معقولة» ولا أن تكون «الادوار» التي تلعبها الشخصيات متمشية مع أحداث القصة ووقائعها ، ولا أن تكون «فكرة» القصة ذاتها ذات هدف معلوم مفهوم ، ولا أن يكون لها مغزى مقصود يتضمن مفاهيم معينة محددة ..

أقول : ليس يكفي لكي يكون القصاص ناجحا أن تتوافر في قصته كل هذه العوامل مجتمعة ، على الرغم من أن مراعاة هذه العوامل كلها أمر لا مهرب منه ، وضرورة لا محيص عنها ، فمجرد توافر هذه العوامل كلها لا يعني أن نجاح القصاص أمر مؤكد ، لان مراعاة هذه العوامل مراعاة جامدة لا حياة فيها ، لا تعدو أن تكون مجرد محاولة لتشكيل القصة تشكيلا صناعيا بحتا يفتقر الى حرارة الصدق والاخلاص والانفعال والتجاوب .

وبوسعنا أن نناقش كل هذه العوامل - عاملا بعد عامل - للبرهنة على صحة ما ذهبنا اليه ، غير أن مثل هذه المناقشة تستغرق من الحيز والوقت ما لا يسمح بهما هذا التقديم المقتضب ، ومن ثم سنجتزىء قائلين : ان مجرد مراعاة « الحبكة » القصصية الجامدة المتينة لا تعني سوى تقديم « حدوتة " وان مجرد مراعاة " الاستثارة » لا يعدو أن يكون « مهيجا صناعيا » لاستثارة الشهية أشبه بالتوابل الجافة الحارة التي تلهب الامعاء والمعدة .

وان مجرد جعل « الادوار » متمشية مع أحداث « معقولة » ليس - في الواقع - الا محاولة يائسة لاصطناع « المنطق » ومن ثم يتحول هذا الضرب من ضروب المنطق الى مجرد تفسير بارد ميت للمقدمات والنتائج .

وان مجرد جعل « الادوار » متمشية مع أحداث القصة ووقائعها ، لا يعدو أن يكون عملية زائفة «للتشخيص» فالدور الذي تلعبه أية شخصية من الشخصيات لا تقرره أحداث القصة فحسب ، بل تقرره وتحدده « الاحداث » و " الجو » الدرامي و « الهدف " و« المغزى » و« الزمن » و « المكان » وما شاكل ذلك من اعتبارات وعوامل .

كذلك لا يعني مجرد مراعاة جعل «الوحدة الزمنية» واضحة ومستمرة ، الا مجرد اصطناع « التأريخ » في كتابة القصة .

وان مجرد مراعاة « الفكرة » أو « الهدف » أو « المغزى » ، لا يعدو أن يكون اصطناعا زائفا للواقعية .. فالواقعية لا تعني الالتصاق البارد الجامد الميت بالواقع ، بقدر ما تعني استلهام الواقع والاستقراء منه عن طريق الملاحظة والتجربة واستعادة هذه الملاحظة وتلك التجربة .

والخلاصة - ونحن لا نريد أن نطيل ونستطرد - أن فن كتابة القصة القصيرة عمل من أصعب الاعمال الادبية جميعا ، وان مجرد الحذق الفني والمهارة القصصية ليس ضمانا كافيا لجعل القصة الادبية عملا ناجحا تتوافر

(*) المقدمة التي كتبها الاستاذ ماهر نسيم لمجموعة عدنان الداعوق الجديدة « ستشرق الشمس زرقاء » والتي صدرت بالقاهرة هذا الشهر .

فيه كل المقاييس والشروط الادبية التي وضعها النقاد والباحثون في الآداب والفنون •

فالفن القصصي يتوقف على عدة عوامل أخرى تضاف الى العوامل السالفة الذكر ، فهناك « الرغبة » في تسجيل التجربة التي تتكون منها القصة، وهناك «الصدق» العاطفي الذي يتضمن حماية الانفعالات للشخصيات وسلوكها من التزييف والتشويه ، وهناك " الملاحظة » القوية ، و « الاستقراء » و « الاستنباط » و « الاختيار » و « الاحساس الجمالي » و « التذوق » وغير ذلك من العوامل التي لا يتسع هذا التقديم الموجز لبحثها ومعالجتها•

غير أن هذا كله لا يعني أنه يجب على القصاص أن يثقل على نفسه وعلى القراء بأن يجلس الى مكتبه وقد وضع أمامه لافتات ولوحات تعيد الى ذاكرته كل العوامل والاعتبارات السالفة الذكر ، لكي لا ينساها وهو يعالج قصته !•• فالقصاص الذي يفعل شيئا من هذا القبيل ليس فنانا " أصيلا » بقدر ما هو «صانع» وشتان ما بين «الاصالة» و « الصنعة » !•• بل ان القصاص « الاصيل » هو ذلك الذي يشرع في تسجيل التجربة القصصية وهو لا يشعر الا بأن هنالك عاطفة قوية جياشة تدفعه دفعا الى تسجيل هذه التجربة تسجيلا فنيا ، وعندئذ سرعان ما تتدافع هذه العوامل والاعتبارات كلها لتزحم عقله وخواطره ، فيمضي في تسجيل هذه التجربة على نحو لا يفتقر الى أي عامل أو أي اعتبار من العوامل والاعتبارات الحيوية التي ناقشناها من قبل مناقشة هينة لينة •

غير أن القصاص الحاذق التي تمرس على الكتابة القصصية واكتسب ـ عن طريق التجربة والتكرار ـ طاقة فنية تؤهله لهذا كله ، هو ذلك الذي وهبه الله قدرة قوية جبارة على مراعاة هذه العوامل والاعتبارات مراعاة تلقائية ، أي مراعاة غير مقصودة لذاتها • ويمكن تنمية هذه القدرة عن طريق القراءة والاطلاع والمرانة والتدريب•

* * *

ولست أريد أن أمضي طويلا في تبيان أركان القصة القصيرة الناجحة ، لان المقام لا يتسع لمثل هذا البحث ، ولانني لم أذكر ما ذكرت الا كتقدمة لهذه المجموعة القصصية التي كتبها الزميل الصديق الاستاذ عدنان الداعوق القصاص العربي اللامع الذي نشرت الصحف والمجلات ودور النشر في أكثر الدول العربية بعض ثمار قلمه •

وليس من دأبي أن أمتدح اولئك الذين أقدم لانتاجهم ، كما أنه ليس من دأبي أن أجامل أصحاب مثل هذا الانتاج ، ولكنني أشعر ـ مع ذلك ـ بأن كلمة حق تقال عن الزميل الصديق الاستاذ عدنان الداعوق لن تكون بأية حال من الاحوال اطراء أو مديحا أو « مجاملة » ؛ لان « الصورة » ذاتها أجمل من « الاطار » ولان القصاص ذاته أروع من قصصه • ولن أتجاوز الواقع والحقيقة اذا أنا ذكرت أن الاستاذ عدنان الداعوق أديب مرهف الحس ، قوي العاطفة ، تتوافر فيه أغلب الاعتبارات والعوامل التي ذكرتها من قبل كمقاييس للقصة القصيرة الناجحة وأركانها •• فهو « متفرج » ممتاز يعرف كيف يتفرج على الناس ، و « مصور » ممتاز يعرف كيف يرسم صورهم حين يحاول أن يقدمهم الى قرائه ، وهو « متأمل » ممتاز يعرف كيف « يختزن » الوقائع والاحداث والصور في ذاكرته ثم يطلق سراحها شيئا فشيئا بالقدر الذي يحتاج اليه سياق القصة ، وهو « انسان » ممتاز ، يعرف كيف ينفعل مع الناس ، ويتجاوب معهم ، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم ، كل ذلك بطريقة انسانية لا اصطناع فيها ؛ وهو « فنان ممتاز » يعرف كيف يمسك بآلة تصوير لا تلتقط صورا فوتوغرافية جامدة ، بل تلتقط صورا انسانية حية مصنوعة من كلمات حية ، وانفعالات وعواطف متدفقة ، وهو « ممثل » ممتاز ، لانه يعرف كيف يتقمص شخصيات قصصه تقمصا يجعله يحيا كما لو كان قد جمع في نفسه كل هذه الشخصيات، ولكن دون أن يفقد ذاته الحساسة الجياشة أو ينفصل عنها ••

وفي الختام ، يسعدني كل السعادة أن أقدم للقراء العرب هذه المجموعة القصصية التي كتبها الزميل الصديق الاستاذ عدنان الداعوق القصاص العربي المعروف ••

القاهرة : ماهر نسيم

شفة

شعر : خليل الخوري

من خجل حمراء أم شهوة ... أم من تمادي الظن في عضها ؟

ياقوتة هذي ، وأسرارها ... هذي ، ولا أقوى على فضها

عمري على اللين ونعمائه ... يا شفة تقتات من بعضها

كأنما قلبي على أضلعي ... موقع الخفق على نبضها

تحرشت بي ، فاحتراق دمي ... ما سال من وهج على بضها

محمومة ، راعشة ، كلما ... راودتها تمعن في رفضها

• •

يا شفة ! والدفء ما يرتمي ... من كرمها ، والطيب من روضها

أهكذا يا شفة نورت ... فكل ومض السحر من ومضها

لغيري الخمر وترنيحها ... وما يدير الرأس من فيضها

ولي أنا أني هنا قانع ... بالوهم لا أطمع في قبضها ؟

• •

لمن ترى أشكو اذن غيرتي ... ان أختها مرت على أرضها ؟

أواه لا آمل في نيلها ... والقلب لا يقوى على بغضها

بي حاجة رعناء لا ترتوي ... هلا هلا بالنار ان أقضها

عاطل بالوراثة

بقلم : محمد الخطيب

اعتـدت الجلوس اليـه كلما استاقتني قدماي الى المقهى المتواضع الذي اختارته شلتنا ليكون منتدى لمشاكلنا وأحلامنا المختلفة ..

رأيت فيه جليسا خيرا تعود الصمت فنبغ فيه، وألف البطالة لسنين عديدة حتى صار من أعلامها .. وأحب شلته بكل ابائه وسمو نفسه حتى غدت بالنسبة له عشقا يمتزج بنبضات قلبه ، وادمانا لا يستطيع الافلات منه . ورأى في صديقا مرحا رغم ثرثرتي ، وعاطلا عن العمل – مثله – رغم كثرة مشاريع أعمالي وعـدم جـدوى أفكاري ..

انه انسان فقـد العمل منذ نيف وعام .. جيوبه خاوية حتى من فتات تبـغ السـجاير تتوق الى احتواء القروش كما يتوق السقيم الى الصحة .. وأنا بطبيعة حياتي لا أتقن شيئا بقدر اتقان تحدثي عن عزيمتي في فتح دار للنشر ، أو اصدار كتاب ، أو تأسيس شركة تجارية مساهمة . ولست أزعم أنني كنت أستطيع كل هذه الاعمال أو بعضها ، لانني كنت الامين المدلل لوالد ثري – ولان الآباء الاغنياء كثيرا ما يعتقدون أن أبناءهم غايروهم في النشء والخلق والتصرف ، وهم لذلك لا يأتمنوهم على الانفراد – أو حتى مشاركتهم – في بعض أموالهم ، سـواء من حيث ادارة أعمالهم أو في تأسيس تجارة أخرى مستقلة ..

على أن قلة أعمالي لم تكن ذات موضوع بالنسبة لافراد شـلتي .. انهـم يصمونني بالغنى ، فأظهر على مسارح تفكيرهم بمظهر الرجل المثري ويصدقون كل ما أقوله عن نيتي في القيام بتلك المشاريـع . وأغلب ظني أنهم كانوا يدركون أن والدي من السهولة بحيث يجعلني أتصرف بشيء من أمواله كما أشاء وبمجرد أن أريد ، وأنني بحكم هـذه النعماء قـادر على بعثرة النقود يمينا وشمالا دونما وجل أو حسبان !! . ان امكانيات والدي المادية وسمعته التجاريـة تتيح لي التحدث بمثل هـذه المشاريـع ، فلماذا لا يصدقون مخططاتي ؟! ولـماذا لا يلتفون حولي يشهدون العمل ولو حديثا ويعملون معي في التجارة ولو بتطلعهم الى أوراقي العـديدة المهلهلة التي رسمت فيها كل مشاريعي وأفكاري !!

ولم أكن بمشاريعي هذه أريد علوا عن زمرتي .. ولا أقصد استدرارا لتنهداتهم أو اسالة للعابهم على العمل وذكرياته . كنت أريد العمل فعلا وأشتهي الاتيان بالمال كريما بعد عرق سخي وجهد شاق أبذلهما من أجله .. وكنت أرى في أموال والدي طريقا بدائيا لتحقيق هذه الامنية . ومشكلتي مع نفسي أنني كنت أعتمد على حب أمي لي ونفوذها عند والدي ، فبت أعتقد أنها تستطيع البر بوعودها الكثيرة التي قطعتها لي على عاتقها لاقناع والدي وجعله يساعدني ماديا للعمل اما تحت اشرافـه واما على مسؤوليتي الخاصة !! أما مشكلتي المزمنة مـع زمرة أصدقائي هؤلاء فهي أعمق من أن أرضي أذواقهم ومخيلاتهم المبعثرة .. انني أعرفهـم ، فاما أن يـكون بعضهم عاطلا عن العمل ومعوزا فيطمع في العمل عندي ، واما أن يكون هذا البعض حسودا ينظر الي على أنني أكثر منه يسرا بكثير .. أما بقيتهم الاخرى فانها جشعة دائمة الشكوى من رداءة العمل ، أو من درجات وظيفية مصنفة وثابتة ..

– ما أسـذج هؤلاء الناس !! وما أعجزني عن اقناعهم بواقع حالي المعيشية وبآلامي النفسية وأنا أحاول

الصعود اليهم .. الى مشاكلهم .. الى تفكيرهم والى النافذة التي يطلون منها على الآخرين ! . لكنني كنت أتفه من أن أمحو نظراتهم عني وأجبن من أن أصارحهم بهذا الواقع المؤلم الذي يكسو دنياي .. ومع كل فشلي في الوصول الى أعماق صحبي ، ورغم اصراري الدائب على هذا الوصول فانه لا يمكنني الاستمرار على هذه الحال ..

ان بعضهم عاطل عن العمل ، لكن معظمهم لديه العمل ومع ذلك فكل هؤلاء الذين تراهم قد ألفوا حياة المقاهي وجعلوا التثاؤب ولعبات الورق والطاولة هي هواياتهم وكل سلواهم .. وهم لا يستطيعون الانصراف من هنا الا عندما يسمعون صواء امعائهم أو قرقعة كراسي المقهى ومناضده ، والعمال يضعون بعضها فوق بعض عند منتصف الليل ، ايذانا بانتهاء العمل واقفال المقهى .. ان ههنا لشبابا يأخذ من المجتمع أكثر مما يعطيه ، بل انه لا يعطي شيئا ـ مهما قيل في عطائه ـ ما دام يرى في التسكع سلواه ، وفي بسط مشاكله على طاولات القهوة مخدرا يحجب عنه أفق التفكير في معالجة بطالته ، أو حتى في مجرد محاولة الاستفادة من هذه البطالة !!

★ ★ ★

كان وليد يقص علي سيرة أيامه مع خليل ، كواحد من زمرة لدنة تكورت على ذاتها وتضخمت حتى صارت بهذا الحجم .. لكن خليلا كان على ما بدا في شغل عن وليد .. كانت في يديه صحيفة يومية راح يلتهم أعمدتها بنهم لا انتظام فيه ولا اهتمام ، لعله كان يريد البعد ـ ولو ببصره ـ عن ثرثرة وليد .. ربما !!

وعاد وليد ينبهني بلكزة خفيفة من أصبعه ليقول لي :

كان خليل آنئذ يسخر بمفاهيمي ويضحك على آرائي في وجوب الاستفادة من البطالة !! كان يقول لي وهل يعقل أن تكون في بطالة فائدة ؟!.. كان ما يزال يرى أنني بحكم تنعمي وموائد والدي ، لا أستطيع لمس يكابده هو .. كان ينصب نفسه محاميا عن شلتنا فيرفض كل نظرياتي بحجة الدفاع عن فقر الزملاء وتسكعهم .. كان يعتبرني ثريا منتميا الى فصيلة متنعمة لا تعرف الا الاسهاب في تبسيط النظريات ، أرى الناس من خلال موائدي الملأى بأطيب أنواع الطعام والشراب وبامكاني أن أصرف في سهرة واحدة من سهراتي المترفة ما يكفي لاطعام عائلة كبيرة لمدة شهر كامل .. وكان هو يحس أنه منتم الى فصيلة أخرى ، لا تقر النظريات الا بعد تذوقها ومعاناتها ولا تؤمن بالفلسفات الا بعد امرارها من خلال معدها .. كان يعتقد أنني أريده أن ينصرف الى العمل وان يبحث عن العمل وبحث عنه مرارا كثيرة فلم يجده .. انه يتهمني بأنني أريد كل هؤلاء الناس أن يصبحوا مثلي أثرياء بكل بساطة ، أريدهم أن يسهموا في انشاءالشركات ويرسموا المخططات تماما كما أفعل أنا !! انه يتمنى لو أنني خلقت فقيرا لاعرف كيف يكون الفقراء .. يتمنى أن أفتقد ثروة والدي فأصبح من فصيلته دما ووجودا .

قال لي :

ـ أنت يا أخي بعيد عنا بعدا شاسعا .. انك تعيش في حمى أكداس الليرات وتنطق بحكمة البنكنوت .. انك تستند الى أب يمد لك يده رغم تظاهرك لنا بأنك لا تمتلك من المال ما يساعدك على البدء في مشروعاتك .. انك لست في حاجة للعمل وتستطيع أن تعيش هكذا طول عمرك .. أيستطيع شخص مثلك الصعود الى مشاكلنا ، الى النوافذ التي نطل منها على الآخرين ؟! وكيف تريدني أن أوفق بين واقعك هذا وبين تفكيرك ..؟!

لكنني طمست في تلون وجهي شيئا هاما لم يعرفه هو .. فسره بالغضب .. اعتقد ان حنقي كان مزيدا من الحقد عليه وعلى رفاقه ، لانه كان كثيرا ما يفسر تلون محياي على هذا النحو في كل نقاش أشتبك معه فيه .. !!

وصمت كعادته فترة ، كأنه بدأ ينسج عبارات جديدة يواجه بها تظلمي منه ، بينما دسست أنا يدي في جيبي وما لبثت أن أخرجتها تتهاوى بعلبة سجائري ..

وقطع صمته ليهزأ بي : ـ

ـ آه...منذ متى صرت تدخن هذا النوع الرخيص من السجائر ؟! أين السجائر الفاخرة التي كنت تشربها ؟! هل أفلس الوالد لا سمح الله ؟! هل أمك غاضبة عليك فأخذت تخفف من نفقاتك ؟!

وشعرت بالحرج لكلمات خليل النابية .. أردت أن أوقف تهكمه .. أردت أن أخرسه ، لكني وقد تعودت هذه الكلمات منه ، انصرفت عنه بمحادثة بائع تذاكر اليانصيب الذي أنقذ موقفي وبدد غيوم جلستنا وهو يردد :

ـ الله يربحك .. الله يخليك ياعم تشتري ها البطاقة !! حظ ابنك الصغير !! آخر بطاقة ـ اربح عشرين ألف ليرة !!

اشتريت نصف تذكرة اليانصيب من البائع ودفعت به الى خليل قائلا :

ـ ما رأيك الآن ؟! هل تسكت !! اليكهذهالتذكرة علك تربح العشرة آلاف ، فتصبح من الاغنياء .. انني أريدك أن تكون في صفنا .. وأنت تقول ان الاغنياء يحبون امتصاص المال بلا وعي تماما كما يفعل مصاصو الدماء .. فلتكن منهم !!

ونفث صديقي سحابة كثيفة من أعماق السيجارة ـ التي كان قد أخذها من علبتي ـ وهو ينظر الي وعلامات الاستغراب تحتقن بين ناظريه وتناول نصف تذكرة اليانصيب ودسها في جيبه كأن يتقبل الصفعة ببرود صمته !! . ورأيته يشرد في تيه عميق .. لقد أدرك أنني لم أحتمل أسلوبه في التهكم هذه المرة .. انه يعرف أن علاقاتنا الشخصية كانت الى عهد قريب أنقى من أن تشوبها مثل كلماته وتعابيره لي هذه الساعة .. كنا أكثر تفهما لبعضنا بعضا عندما نلتقي سواء في هذا المقهى اللعين أو في أحد بيوت شلتنا .. لكنه اليوم تجنى علي بشكل أثار سخطي ، يستهتر بي ويقذفني بأتفه كلماته ولا يرعوي ، مما جعلني أثار لكرامتي،ولو بهذا الاسلوب!! قرأت رد الفعل هذا في جبهة خليل .. شعرت به كأنه يقول ، لا .. لا !! يجب أن أضع حدا لتصرفاتي هذه مع صديقي .. يجب أن أوقف هذا التيار السخيف في نفسي ، انه ليس من هذا النوع من الناس الذي يقبل التهكم ..

وأخذ خليل يشدد من اعتصاره لخصر سيجارته وهو يمتص سمها .. وما لبث أن عاد ببصره الي . وحدجني بنظرة بائسة حمراء .. وافتر ثغره عن ابتسامة ميتة ، أجهضها مخاضه ، ثم قال :

ـ أنا آسف ياوليد .. لنبق أصدقاء ـ أرجوك !!

وابتسمت له بسخاء ..

قلت له :

ـ مسكين أنت يا أخي !!

ـ ما كل من ملك المال صار عبدا للمال !! هناك المال العبد .. وهناك عبيد المال !! وهل تخالني من عبيد المال .. أنت غبي ياصديقي .. انك مسكين !!

ـ أنت وأمثالك من قناصة الفرنكات تحسبون انكم خلقتم مظلومين في هذه الدنيا .. لهذا فانتم تحسدون حتى اخوانكم وأقاربكم اذا كانوا يمتلكون المال أو شيئا منه .. انكم جشعون ، حاقدون ما حييتم !!

ـ أنتم معشر المتسكعين هنا وهناك تحقدون على المجتمع .. حتى خالقكم صرتم تعاتبونه وتحاسبونه .. انكم أغبياء ، ضعفاء النفوس والضمائر لا تقيمون للحياة وزنا في بيئتكم ، ولا تفسحون للعدل مكانا في نفوسكم !!

وقاطعني محاولا تهدئتي .. لكنني أبيت الا أن أصب على عنقه بكل ما يكفهر في أعماقي من أسى .. وواصلت تحطيم بقايا كبريائه :

ـ انظر !! .. كم عددنا هنا الآن ؟! عشرات الرجال لا نصنع شيئا الا التثاوب .. أصبحنا فلاسفة العصر .. صرنا مرجعا للآراء ومعقلا للكسل بأبشع صوره .. هل فكرنا يوما بالانتفاع من طاقاتنا لانفسنا ولمجتمعنا ؟! .. هل حاولنا التبرع بهذه الطاقات لمشاريعنا العمرانية أو استغلالها في انجاح مخصصاتنا القومية ؟! بامكاننا ـ مثلا ـ مناشدة الدولة الاستفادة من خدماتنا ـ

ولو مجانا ـ في مشاريعها الانشائية المتعددة !! كل واحد منا يستطيع الاستغناء عن اسبوع من هذه الشهور التي تذهب بنا سدى !!

ـ انتم تصمونني بالرجل الغني •• وترفضون اصطحابي ومجالستي الا بقدر ما أبذره على مقهاكم وسهراتكم من أموال والدي الكهل •• يا لكم من أصدقاء •• !

وتململ خليل من خلف صحيفته كن يدفع عن كاهله وزرا •• وقال لوليد مداعبا :

ـ أما تعبت ياوليد ؟! دعني أكمل بقية قصتنا !! يجب أن تحصل على قسط من الراحة !! لقد ذاب لسانك في فمك !! فهلا رحمته ؟!

ورحت أمعن النظر الى وليد وهو يقلص من أحاسيسي تجاهه وتذكرت أنه قال لي عندئذ أنه يتوجب علينا ، نحن العاطلين عن العمل ، أن نستفيد من بطالتنا •• وتذكرت أولئك الذين يمتلكون العمل ـ ولكنهم غير قانعين به وغير راضين عن أجره ودرجته •• وحاولت أن انصرف بوليد عن موضوع بحثنا •• لكنه نظر الى ساعته بازدراء ، كأنه يحسدها على انتظام عملها أو لعله يئس من صداقتنا ، فانصرف بكل نفسه عن المقهى منذ عام •• ولم أره الا اليوم !!

وابتسم خليل وهو ينهي على مسمعي قصته مع وليد قائلا :

ـ بقي أن تعرف ياصديقنا أن وليدا هذا كان أول من أعلن مقاطعة المقاهي •• مع العلم بأنا أباه كان وما يزال لا يستطيع حصر أمواله أو يعرف لها عدا الا من خلال سجلات محاسبيه ومن تقارير البنوك اليه •• ونظر الى وليد كأنه يبارك عودته الى المقهى ـ وكمن يروم الحصول على ايماءة موافقه •• لكن وليدا تظاهر بعدم الانصات وانشغل عنه بمحادثة عامل المقهى ، يريد طاولة زهر •• انه يريد مبارزة خليل •• ربما يريد الهزب من بطالته !!

وسألتهما وأنا أهم بالانصراف :

ـ وهل اشتغلت ياخليل ؟!

قال :

ـ بلى ! لقد ربحت العشرة آلاف ليرة !! فتبنيت بعض مشاريع وليد ونفذت قسما منها !!

وتوجهت الى وليد بنفس السؤال :

فأجابني ••

ـ اطمئن !! لقد تزوج والدي بامرأة أخرى ، فطلق أمي •• وحرمنا من الميراث •

محمد الخطيب

القنصلية اليوغوسلافية

في دمشق

تقدم للامة العربية أجمل التهاني بعيدي

الميلاد ورأس السنة

راجية لها اطراد النجاح والتقدم

غولز ورثي

تعريب : محمد يحيى الكيلاني

هناك ضرب من الكتاب يتأثر بصورة عميقة بحقيقة: أن الحياة يمكن أن تكون غنية بالخير الانساني والجمال . وفي نفس الوقت ، تكون رازحة تحت نير الالم والظلم والسخف البشري . وهذه التجربة من الصراع في عالم اليوم بين الجمال والقبح ؛ هي وحي ؛ في درجة تقل أو تكثر لبعض أفاضل كتاب الرواية المحدثين ؛ وكتاب المسرحيات والشعراء ؛ وعرض ما يعتبر مسألة قديمة جدا ؛ لا تستوفي الدراسة بمقدار أكثر منه في مسرحيات وروايات غولزورثي .

لقد كان من رأيه ، أن عمل الكاتب هو تصوير حيادي للحياة الانسانية .

ولكن احساسه الشخصي العميق الجذور بالعدالة؛ وضميره الاجتماعي القوي ؛ وحبه العاطفي للجمال والعالم ؛ كل هذه الاشياء منبعثة من احرازتلك الموضوعية البارزة في انتاج (بينت) و (سمرست موم) .

وكان الدافع التعليمي قويا دائمافي انتاج غولزورثي. وبينما هو لم يفشل أبدا في زخرفة حكاية ما ؛ فانه لم يحذف شيئا لغرض أخلاقي .

انه يمت بصلة رئيسية الى ذلك التقليد الادبي ، الذي اعتبر الرواية دائما ؛ أداة مشروعه للدعاية الاجتماعية . ولقد مارس هذا العمل في حدود عالم صغير ؛ هو الطبقة فوق الوسطى في المدارس العامة والجامعات القديمة والمهن والتجارة ؛ والملكية وملاكي الاراضي .

كان هذا العالم مألوفا لديه ؛ وقد صوره بدقة رائعة . والذي ساعده على ذلك ؛ أنه كان معدا لهذا الهدف بمولده وثقافته .

ولد في (كوم) في (سرفي) ١٨٦٧ . وكان ابن محام شهير ؛ ونشأ في بيئة ثرية . دخل مدرسة تحضيرية حتى بلغ الرابعة عشرة . واذ ذاك ، دخل معهد (هارو) حتى ١٨٨٦ . ومنذ عام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ درس القانون في الكلية الجديدة في أكسفورد ؛ وتخرج ١٨٩٠ . غير أنه لم يمارس (تدريب) المحاماة .

وقضى السنتين التاليتين في رحلات خارج البلاد . وقابل أثناء رحلته من استراليا الى أفريقيا الجنوبية ؛ كونراد ؛ وبدأ ما تطور فيما بعد الى صداقة مدى الحياة . وعاد الى انكلترا ١٨٩٣ ، وقد نشر كتابه الاول (جوسلين) . وهو رواية تحت اسم مستعار : (جون سين جون) ١٨٩٨ . ولكنه لم ينتج أي انتاج ذي قيمة حتى ١٩٠٤ وكان هذا رواية (مدعي الشرف في الجزيرة) . وهي بداية حلقة طويلة ؛ من الروايات والمسرحيات ؛ صورت فيها مساوىء الطبقة الانكليزية فوق الوسط ؛ بثروة هائلة التفاصيل ؛ وان لم تكن بحياد تام .

وفي عام ١٩٠٦ ظهر ما يعتبره معظم النقاد ، أحسن رواية له (الرجل الملال) ومسرحيته الاولى (الصندوق الفضي) . وصدرت بعد ذلك بمدة وجيزة (الدار الريفية) ١٩٠٧ والاخوة ١٩٠٩ والنضال ١٩١٠ .

وبعد ظهور (الباتريشيان) ١٩١١ و (فندق الهدوء) ١٩١٢ ؛ ظلت كتابته قليلة الاهمية حتى ١٩٢٠ ؛ حينما أكمل بروايته (في المحكمة) رواية (الرجل الملال) متبوعة بعد سنة برواية (للايجار) . وهي المجلد الثالث من مجموعة ثلاثية ؛ تعرف الآن باسم (فورسايت ساغا) ؛ التي تكون ادعاءه الرئيس للشهرة كروائي . والروايات الثلاث الباقية ؛ بالاضافة الى قصتين

صغيرتين نشرهما : (صيف هندي) و (اليقظة) ؛ نشرت في مجلد منفرد ١٩٢٢ • وبظهورهما توطدت شهرة غولزورثي •

وبين عامي ١٩٢٢ - ١٩٢٨ ، أكمل مجموعة ثلاثية أخرى ، تتحدث عن عائلة الفورسايت • هذه الروايات هي : (القرد الابيض) (الملعقة الفضية) (أغنية سوان) ؛ التي ظهرت جميعا كملهاةحديثة١٩٢٩

وخلال السنوات الاربع الاخيرة من حياته١٩٣٣ ، كتب (الوحشية المزهرة) و (الخادم تنتظر) و (على النهر) • وهي روايات تشهد على أن أعظم صفاته هي صفة الكاتب • غير أنها تظهر هبوطا ملحوظا في المتانة ؛ ونقصا في فهم المناظر المعاصرة • وقد كرس معظم طاقته خلال الحرب العالمية الاولى لمؤسسة (ب ي ن) • وهي مؤسسة دولية للكتاب • تألفت ١٩٢١ • وظل غولزورثي رئيسا لها حتى وفاته • وقد حملت هذه المؤسسة رسالة مفهوم عالمي للفن ، انسجمت مع روحه الحساسة المنصفة ، التي تنشد العدالة •

وتنعكس في انتاج غوزلورثي كبرياؤه وخجله الداخلي • وتحت هذا السطح من الخجل ؛ تكمن صفتان هما الموحي الرئيس لاحسن انتاجه ؛ وأولى هاتين الصفتين :

حب عميق الجذور للعدالة ، مصحوب بادراك حاذق لضعف الطبقة التي ينتمي اليها •

والصفة الثانية : حب للنظام والجمال ؛ يوازي في قوته واخلاصه العنصر الاول • وهاتان الصفتان لم تنجحا في الامتزاج والتحول الى خلق جديد خيالي لتجاربه • وصراعهما يعلل القرار غير الحاسم لكثير من كتابته •

كان غولزورثي قد وجد في الجو الانكليزي كثيرا مما ينتقد ؛ وكان في نفس الوقت كثيرا لانضباط حسن السلوك • حرا من الانفعالات غير الضرورية ؛ وقريبا - ان لم يكن خالقا - من الجمال الذي عبده غولزورثي ؛ والذي لم يستطع أن يراه بصورة حيادية •

ان قصة عائلة (الفورسايت ساغا) و (الملهاة الحديثة) تظهر ان حقا ، مدى العمق الذي يمكن أن يبلغه خيال الكاتب بتأثير الشخصيات التي عزم على هجائها •

ان (سوفر فورسايت) خلال نجاحه في ست روايات يصبح شخصية محبوبة تماما ؛ على الرغم من انحياز مؤلفه ضده • وهذا الصراع في شعوره تجاه شخصياته ؛جعل مما لا يمكن تجنبه ؛ أن يبالغ في الانغماس والاعجاب بالمظاهر المختلفة للحياة بقدراهتمامه وانزعاجه من أجلها •

وهذه العناية ؛ بينما تعطي في بعض اللحظات قوة انفعالية مخلصة لكتابته ؛ فانها لا تغدو أكثر من شكوى تافهة ، وهي من أهم نقاط الضعف البارزة فيه ككاتب •

هذه النقطة من الضعف ، تلاحظ في عدد قليل من رواياته ؛ وفي بعض المسرحيات وتغيب تماما في مثل رواية قصة (عائلة الفورسايت) •

ان هذه الروايات متينة البناء ؛ وهي غنية في التشخيص ؛ ومكتوبة بانتباه شديد العناية بالتفاصيل الرمزية ، وفي هذا الانتاج فقط ؛ يمكن لغولزورثي أن يدعي - مطمئنا - أنه أحد الروائيين العظام في أدب بلاده •

وباختصار ؛ يقدم غولزورثي في نحو من ألفي صفحة قصة عائلات الطبقات فوق الوسطى ؛ التي تشغل الفترة بين ١٨٨٦ - ١٩٢٧ •

ان المميزات الرئيسية لعائلة الفورسايت ، كوحدة متلاحمة متشابكة هي :

١ - عبادة أفرادها للتملك • وذلك في سعيهم واكتسابهم اللذين يستنفدان كل طاقاتهم تقريبا •

٢ - في اعتدادهم بأنفسهم • وهذه المجموعة الثانية ؛ يشتركون فيها مع مجموعة عائلات أخرى ؛ صورها في روايات أخرى كعائلة (بنديس) في : (الدار الريفية) • وعائلة (مالور ينكز) في رواية : (الاراضي الحرة) • ويتبع غولزورثي ؛ بعناية فائقة ؛ ودقة عظيمة؛ تأثير القوى الهدامة على العادات والتقاليد الصارمة ، كعائلة فورسايت على وجه العموم ؛ ولرجل واحد منهم

على وجه الخصوص ؛ يعتبر رمزا للعائلة كلها • هذا الشخص هو (سوفر فورسايت) المحامي •

ومن هذه القوى ؛ يعتبر الجمال أكثرها خطرا على الطمأنينة الفكرية لعائلة فورسايت ؛ الذي اكتسب مركزا مرموقا لقدمه في العائلة (جويلون فورسايت العجوز) ؛ أحد الآباء المحترمين للعائلة •

ان ولده (جويلون) الصغير ؛ يظهر كالغريب المختبىء ؛ بتركه وظيفته ككاتب تأمين في شركة (لويد) ؛ ليصبح في أعين العائلة أسوأ المخلوقات سمعة لانه فنان • ويرمز الى الجمال بحيوية أكثر في شخصية (ايرين) الجميلة ؛ التي تزوجها (سوفر) ويحاول أن يزيدها هنا الى مجموعة مواضيع فنه •

ولكن ايرين ترفض أن تكون مجرد جزء من المجموعة • والاسس الوحيدة لعالم الفورسايت تبدأ بالتشقق كرد فعل ضد زواجها غير القائم على الحب • وتقع في حب (فيليب بوسيني) ! وهو مهندس يخطب جين فورسايت • ويبحث سومز عن ثأره ؛ ويقيم دعوى ضد بوسيني • وفي اللحظة التي يكسبها ـ الدعوى ـ يفقد المرأة التي يشتاق اليها شوقا يائسا الى الابد • وفي رواية (في المحكمة) ؛ تستمر قصص سومز التعسة ؛ برغبة في ولد ؛ وبأمله في ترضية ايرين ولحاقها الى باريس•ثم الطلاق ثم في زواجه من (اينيت) الفرنسية •

وأخيرا ؛ وبعد تسعة عشر عاما ؛ تقابل (فلور) ابنة سومز ؛ (جون) بن ايرين • والمجلدالثالث(للايجار) يتبع المشاكل والاحزان التي تتبع لا سومز وايرين فحسب ؛ بل تتبع الشابين أيضا ؛ غير أن فلور لا تتزوج جون • وأخيرا تدخل الارستقراطية الى العائلةفي شخص (ميشل مونت) ؛ ولد أحد البارونات •

ومن الغريب ان هذا لم يعد مهما في نظر سومز ؛ الذي أصبح كل شيء عنده للايجار • ان عصر عائلة الفورسايت ؛ وطريقتها في الحياة ؛ عبارة عن تملك المرء لنفسه وماله وزوجه ؛ بغير اعتراض ولا سؤال •

أما الآن ؛ فقد راقبت الدولة ؛ أو هي في طريق المراقبة ؛ أمواله وزوجه التي أهتدت الى نفسها ـ والله يعرف من أخذ روح الانسان ـ •

هناك شيء واحد قد أزعجه في الحقيقة ، هو الحق الذي يحطم صدره •

انه يتضرع ويتضرع ولا يحصل على ما يريد ، على الجمال والحب في هذا العالم •

ويبقى سومز ليعطي الاستمرار خيطا هادئا من الحقد الناعم للروايات الثلاث : (القرد الابيض) ، (الملعقة الفضية) ، (وأغنية سوان) التي تؤلف كلها (الملهاة الحديثة) • ولكن على العموم ؛ فان هذه المجموعة التي تصور التصيد المرح للسعادة ؛ وقلة الاكتراث الاخلاقي للاجيال الناشئة من عائلة الفورسايت خلال الحرب الاولى ؛ هذه المجموعة تنقصها الخطوط الواضحة الثابتة لقصة فورسايت ؛ وفيها تفهم محدود ، وعاطفة تجاه الاجيال الناشئة التي وجدها غولزورثي غير قابلة للتصديق • ولكن هذا ضعف بني على ؛ وبسبب ؛ يقينه في تصوير أفراد الاجيال القديمة ؛ ولتشخيص أناس من كبار عائلة فورسايت وباندسز ؛ الذين يكونون أشخاص تلك الرواية الظريفة (الدار الريفية) و (دالهيون) سبب هذا التشخيص كانت له عين ثاقبة وحس رفيع ونظرة ، لطيفة ؛ وقدرة ، على تسجيل انطباعاته في نثر موسيقي واضح دقيق • والمساندة القوية ؛ بين هذا الاسلوب النثري المقتصد دوما في الالفاظ ؛ والمتهكم بهدوء ؛ والمتمهل ؛ خلقت عالمه الارستقراطي من ملاكي الاراضي ، وسياسيين معتدين بأنفسهم •

ومن الواضح أنهم صلاب ؛ ويختلفون بشدة عن النسوة الغامضات المزعجات ؛ من الطبقة الاجتماعية نفسها • وفي تصويره : (لهؤلاء الناس ؛ وفي استدعائه الذاكري للاجواء المتأخرة في العصر الفيكتوري) ••

في انتاجه تصوير يجب أن نكنزه دوما . ولكن لا نستطيع التغاضي عن الشعور بأنه تمادى ؛ وكانت تباشير هذا الامر تبدو في انتاجه المبكر .

ويعلق (شيلتون) في رواية (مدعي الشرف بالجزيرة) على انكلترا .. التي نفكر فيها كثيرا كما يفكر جيراننا .. مما يؤدي بنا الى عدم التفكير مطلقا .

وهذا النوع من الملاحظة ؛ يسيطر على الاقل ؛ على ادراك (رواية الملاك) ولكنه كان تبشيرا بواقعية عنيدة لم يبلغها أبدا ..

ان حماسة غولزورثي ، واحساسه بالعدالة ؛ منعت أية قابلية له تجاه الهجاء . وعالمه هو عالم لم يبد فيه الضعف الانساني أكثر من اللؤم الانساني .

وكان غولزورثي ، ككاتب للروايات ؛ يدعى ؛ (أحد أفراد الجيل الجريئين والناجحين) . والبناء والتشخيص والاسلوب ؛ تبدو صحيحة ومؤثرة في رواياته (الصندوق الفضي) (النضال) (العدالة) (الاخلاص) .

وفي كل قصة يعرض قضية الظلم الاجتماعي ؛ ببساطة مثيرة وبطريقة مباشرة .

ان احساسه بالعدالة ؛ وشفقته ؛ سبب لنظرته الى القوى غير الشخصية كمصدر رئيسي للتعاسة البشرية .

فالخوف والكره الطبقي ؛ والتطرف والظلم ؛ تكون الشخصيات الاساسية لمسرحياته . وهو أحيانا يمثل الانسانية على أنها تغمر بهذه الصفات . كما أن تحزبه لصالح قليلي الثروة يبدو واضحا دائما .

وقد قاده ذلك ليعرض حالات شاذة ؛ كان لها انطباق عالمي .

وفوق ذلك ؛ ومع أنه يعطف بعمق على ظلم القدر ، لمصير الطبقات الوضيعة ؛ ومع أنه قاسى في تأمله للعوالم المختلفة : للفقر والغنى ؛ فقد بقي غريبا في أرض غريبة . كما كان بين الاجيال الناشئة في الحرب العالمية الثانية في رواية (المسرحية الحديثة) .

وحين نتجاوز عن هذه النقاط من الضعف ، تبقى من هذه الروايات أفضل تقاليد المأساة الانكليزية . ويكون الجمهور واعيا للمشاكل الاجتماعية في رواياته ؛ لمعالجته لها في كل مسرحية ؛ بل يبرز بوضوح ذلك الشعور الصادق بالمأساة .

وكل رواياته يرتفع الى مستوى عالمي عال ؛ باستدعائها للنضال القوي للافراد في محيط القوى فوق الانسانية .

هناك قيمة حقيقية خطرة في مسرحياته ، تستحق أرفع أنواع المديح . ويكمن نجاحه الحقيقي البارز في رواياته وقصصه في مثل : (ستويك) . وفي صحبته العظيمة المتمهلة ؛ يمكن للقارىء أن يدخل في مجموعة من البشر ؛ وهو يعرف انه على وشك أن يعرف كمية كبرى عن الاخلاق والتقاليد ؛ في وجه من أوجه الحياة الانكليزية المختصرة وقد آمن غولزورثي ؛ أن من واجبه عرض مشكلة ؛ ثم يلقي الضوء عليها ؛ ولكن لا يجب أن يقدم الحل .

وفي قصيدة (موعظة روائي) في (فندق الهدوء) يضع هذه الفكرة في قالبها الشعري . فوجد بعض اللذة في الحقيقة القائلة : (ان نور الحقيقة يلتمع على الصالحين كما يأتلق على الاشقياء . وعلى الوسيم كالقبيح) . وقد كان تقدير غولزورثي لجمال الطبقة الانكليزية ؛ أن يضعها في كل رواية وقصة صغيرة .

وأكثر ما يذكر في تلك القصة الساحرة (صيف هندي) لعائلة الفورسايت .

ويحتل صفحات رواية الفورسايت ؛ والرجل الذي أبدعها ؛ نوع من الاحساس الحزين بعالم من الجمال المثالي .

حماه   محمد سعيد الكيلاني

فلاح

شعر : محمد الجنيدي

فرآنه في حقله   تشدو به البلابل
سوره الجداول   وآيه السنابل
والحب والمشاتل   والظل والخمائل

●

يزخم في ترابه   شبابه ويهدر
فهو هنا معصرة   وهو هناك بيدر
وهو على السفح النضير   الغصن المنضر

●

وقلبه في كبره   في صبره ، في صمته
كأنه من زرعه   في أرضه ، من نبته
كأنه من كونه ،   من دهره ، من وقته

●

كأنه وديعة   في كفه الامين
ألقت بها الرياح من   شواطىء اليقين
كأنما حباته   من عرق الجبين

●

يصمد للاعصار   للثلج ، للرياح
لغضبة الاقدار   لليل ، للكفاح
وينثني يحوم   على سنا المصباح

●

كأنه فراشة   فراشة تحوم
وادعة أليفة   جناحها نسيم
كأنها ابتسامة   رفتها السقيم

●

غذاؤها الضياء   والحب والحنان
وخمرة يسفحها   على الثرى نيسان
جداول من لهب   عتقها الزمان

حكاية تحفظها في سرها الفصول
في زهوة الشباب أبطالها الكهول
تنثرها الجبال تلمها السهول

●

تذيعها ندى على ترابه الخصيب
غمائم تختال في فضائه الرحيب
كأنها أجنحة لحلمه الحبيب

●

يا ما بكى التراب في جداره الكسير !..
وفاضت الزفرة من سراجه المنير !..
وناحت الدفلى على فراقه المرير !..

●

وطفله .. يصرخ ... يبكي ... في زوايا غربته
لا يقبل الطعام الا في ظلال كرمته
ولا يريد النوم الا في حنايا خيمته ...

●

وزوجه ذاهلة تحنو على صغيرها
سحابة من قلق تعصف في ضميرها
كأنها ريحانة تبحث عن جذورها

●

وعينه تضرب في ليل من الضياع
تطعن وجه الافق طعنات بلا انقطاع
تسأله عن نجمة تبزغ .. عن شعاع ..

●

عن قمر ينشق في مأساته الرهيبه ..
عن مارد يعيده لارضه السليبه ..
هناك يغفو طفله في الخيمة الحبيبه ..

محمد جنيدي

غـدا يقول أين أبي

بقلم : عادل سلوم

أنا هاربة ..

هاربة منك .. ومن نفسي .. ومن الماضي الذي يتصب أمامي دائما كالشبح الاسود ويأخذ بخناقي ..

أنا هاربة ..

من أجل ولدي .. ولدك أنت الذي لا تعرفه ولا تعرف من أمه الا جسدا مصصت دماءه ..

أنا هاربة من حبي .. هذا الحب الخجول الصامت الذي أكنه لك ..

ترى ؟! هل هناك شيء أقسى من حب يظل خفيا عن الانظار يعيش في قلب فتاة منزوية عن العالم .. لا تعيش الا لحبها .. ولا تفكر الا به ؟؟

اصفح عني يا حبيبي ان كنت أجلب لك بعض الاسى عندما أكتب لك عن حبي المتواضع الخاضع هذا .. فلقد بلغت مرحلة من اليأس جعلتني أكفر بك .. وبحبي لك ... لعدة دقائق ... عدة دقائق فقط ... عدت بعدها أستغفرك عن ذلتي .. وأطلب صفحك وأنا ساجدة أمام صورتك .. وقد خيل الي للحظة أن ابتسامتك ازدادت اشراقا .. والتمع في عينيك حنان أسمر طالما تمنيت لو يغلب حياتي .. وأدركت أنك غفرت لي ، فعدت سعيدة بحبي .. قانعة بحرماني منك .

اني هاربة يا حبيبي ..

وبعد قليل سأغادر هذا البيت الى الابد .. لا أعرف أين سأذهب .. لكني أعرف أني لن أعود الى هذه المدينة الكبيرة .. المدينة التي تلهو وتمرح بها أنت .. وأموت وأنطفىء فيها أنا !!

لقد جمعت كل حاجاتي في حقيبة كبيرة .. ولم يبق أمامي الا صورتك .. والتمثال الصغير الذي أهديته لي مرة .. هذه الهدية الغالية لن تفارق حقيبة يدي أبدا .. أريد أن أراها دوما .. أن أحس بها .. كي أقنع نفسي بأنك حقيقة ولست حلما مر في حياتي !!

ان ولدي يرقد الآن بجانبي .. رائعا كالملاك الصغير .. انه يشبهك الى حد بعيد .. بابتسامته .. بنظراته الثاقبة لكل شيء .. وسأنتظر استيقاظه لآخذه معي .. وسأمضي بعيدا .. بعيدا .. حيث لا تراني .. ولا تذكرني .. أنا الفتاة النحيلة الشاحبة التي كانت ذات يوم تلميذتك .. ثم أصبحت .. عشيقتك ..

اني أشعر باندفاع قوي كي أعود الى قصة حبي .. أن أرتد الى الدقائق الاولى التي رأيتك فيها .. أن أجتر من جديد رغم أني لم أنسها .. بل أعيش على دفئها .. أريد أن أعود الى أشيائي الضائعة التي تشع وهجا مميتا .. أبعثرها أمامي .. وأسعد بها من جديد ..

ألا تغفر لي يا حبيبي ان أنا حدثتك عن حبي الذي لم تعرفه بعد ؟ .

أنا لست ناقمة عليك .. ولا أطلب اليك شيئا .. ان الحب الطاهر الذي أحمله لك في قلبي الصغير يغفر لك دوما .. ان الحب والمثل العليا شيء واحد ، شأنهما دوما الصفح والغفران .. لقد منحتك كل شيء .. منحتك كل ما أملكه .. دون أن أطلب مقابلا لذلك .. كنت أريدك فقط أن تشعر بحبي .. كنت أريدك أن تفهم أن هذه الفتاة التي وهبتك جسدها وشرفها ولم تطلب مقابل ذلك شيئا .. لهي فتاة تعبدك !.. كان عليك أن تفهم السبب الذي دفعني لذلك .. لكنك لم تحاول .. مجرد محاولة .. حتى في الليلة الاولى لنا .. عندما حملقت في وجهي وأنت تلهث وكأن كاهلك قد ناء بثقل هذه الجريمة ..

ـ لقد ... كنت عذراء ؟ !

قلتها لي .. ثم أدرت وجهك .. لقد كانت اهانة بالغة لي .. لكنني لم أبك .. بل ابتسمت لك ومنحتك فرصة لتسترد هدوءك وتفهم .. لكنك لم تلبث أن ضحكت بعصبية لتقول لي بهدوء وكأنك تعزيني :

ـ لا بأس .. انك ، ستصبحين امرأة في يوم من الايام !!

هكذا كنت تفكر يا حبيبي .. كنت تعتقد أنني أتاجر بجسدي وأنت لست الا واحدا من الذين أهبهم هذا الجسد ..

ان كلماتك ما زالت ترن في فراغ حياتي كصدى لصوت غريب .. مخيف ، يصدح حولي فيملأ كل حياتي بالرهبة .. والقسوة .. والضياع .. ان كلماتك ما زالت سوطا يلهب لحمي بالصفعات وأنا أتلوى وأتثنى تحت ضرباته المبرحة .

لا يا حبيبي .. ان واحدا في العالم كله لم يلمس هذا الجسد سواك .. ولن يلمسه ما دمت حية ، وقادرة على الاحتفاظ بنفسي من السقوط ..

لقد وهبتك نفسي ، ووهبتك جسدي كما وهبتك

حبي وأصبحت أنت صاحبه وسيده ٠٠ ولن أسمح لانسان أن يدنس مكان أصابعك الدافئات الحبيبة ٠٠

ليتني أستطيع الآن أن أعود الى مرحلة حبي الاولى بعد أن أدركت أن هذا الحب تطور وسار في طريق الخجل والارتباك ٠٠ ليتني أعود الى اللحظات الاولى من حبي لاكيفه في قالب من الصراحة والواقعية ٠٠

متى يستطيع الانسان أن يسيطر على الزمن ؟٠٠

اني أتنازل الآن وبكل طيبة خاطر عن حياتي كلها لقاء أمنية واحدة وهي أن أعود الى الساعة الاولى التي رأيتك فيها عندما كنت تسير وحدك في الزقاق الملتوي ٠٠ تنظر الى السماء دوما ٠٠ وكأن كل ما على الارض لا يعجبك ٠٠ عندما رأيتك تدخل الدار ـ دارنا ـ أدركت أنك المستأجر الجديد ٠٠ وأدركت أنك الانسان الذي كتب علي أن أشقى من أجله « هذه نبوءة قديمة قالتها احدى العرافات لوالدي » ٠٠

لقد دخلت البيت كشعاع نور ، وأصبحت حياتي مرتبكة قلقة ، ولكنها لذيذة مليئة بالنشوة ٠٠ مفعمة بالبهجة ٠٠

ولست أدري كيف كنت أستطيع اقناع والدي بدعوتك دائما ٠٠ وكيف لم يفهم معنى اهتمامي الكبير بك ٠٠ وحديثي الدائم عنك ٠٠ لقد دخلت حياتي دون أن تشعر ٠٠ كنت أنظر اليك نظرتي الى شيء مقدس ، ورائع ، وكنت بدورك تنظر الي كفتاة صغيرة مراهقة ٠٠ أبدا ٠٠ لم تنظر الي تلك النظرة الولهى التي كنت تنظرها الى فتيات كثيرات كنت أراهن بصحبتك ٠٠

لقد تفتحت مداركي منذ عرفتك تفتحا غريبا ٠٠ وأصبح حبك ينير لي طريق حياتي ٠٠ لقد كنت كل شيء بالنسبة لي ٠٠ ما عرفت أن الحياة ممتعة الا يوم عرفتك ٠٠ وقد كان خيالي دائما يغلب اندفاعي ، كنت أخلد الى هذا الخيال وأعيش فيه ٠٠ وكانت النتيجة أنني لم أجد الجرأة الكافية لاحدثك عن حبي ، فطويت جناحي على هذا الحب الخجول الصامت ٠٠ وعشت سلبية الحياة بكل ما فيها من تناقضات مقيتة ٠٠

لقد جرفني الظمأ الى الحياة منذ عرفتك ٠٠

ان كياني كله وقد أصبح متخما بالجشع للحب ٠٠ ومشحونا بطاقة هائلة من الحنين اليك ٠٠ لم أعد أفكر الا بك ٠٠ ولا أعيش الا معك ٠٠ بيد أني ـ وا أسفاه ـ لم أجد منك أي التفات ٠٠ لم تكن تشعر بوجودي اطلاقا ٠٠ فكم من ليلة قضيتها أنتظر عودتك عند باب غرفتي لاسمع منك تحية المساء ٠٠ تلقيها بلا مبالاة وشرود ٠٠ وكم من مرة كنت أقف عند باب غرفتك أنصت اليك وأنت تدمدم لحنا حزينا ٠٠ هادئا ٠٠ وأبقى حتى أسمع صوت تنفسك ٠٠ فأعود الى غرفتي ٠٠ وأستلقي على فراشي ٠٠ أعود لاتعذب ٠٠ وأتمزق ٠٠ وأحلم بك تضمني بين ذراعيك القويتين ٠٠ يا الهي ٠٠ كم تعذبت ٠٠ وكم شقيت ٠٠

اني أتساءل يا حبيبي ٠٠ كيف استطاع جسدي الضعيف أن يتحمل هذا العذاب كله ؟٠٠

كنت أحبك بعنف يكاد يقتلني ٠٠ لكنني كنت خجولة ٠٠ وقد أخذت موهبتي الشقية تبحث عن علة خارجية تلقي عليها تبعة هذا الخجل الذي يربكني ويغلني ويدفعني للانطواء على حبي ٠٠ لقد بقيت طوال العهد الذي أحببتك فيه أتألم وأتعذب ٠٠ وصدقني يا حبيبي ٠٠ انني من كثرة الآلام التي عانيتها أشعر بشيء من الراحة الآن ٠٠

هكذا كانت أيامي تسير وهي تجتر رتابة مملة ٠٠ كنت أدخل غرفتي وأحفظ كلمات حية رائعة بعد أن أنتقيها بعناية فائقة ٠٠ كنت أقف أمام المرآة أمثل كل الحركات التي سأقوم بها وأنا أخبرك بحبي ٠٠ كنت أفعل ذلك يوميا ٠٠ وأعد نفسي للقائك ٠٠ وعندما أراك ٠٠ يتلاشى كل شيء كأنه لم يكن ٠٠

كنت أخافك في الوقت الذي كنت أحبك فيه ٠٠

كنت أرهبك في الوقت الذي كان علي فيه أن آنس اليك والى قسمات وجهك القوية الهادئة ٠٠

وفجأة ٠٠ حدث ما لم أكن أنتظره ٠٠

لقد جئت الى والدي وأنت تضحك ورحت تتحدث اليه ببساطة متناهية عن عزمك على ترك البيت ٠٠

هكذا ٠٠ ببساطة ٠٠ وبلا مقدمات ٠٠ دون أن تدرك أن قرارك هذا قد حكم على الفتاة المذهولة الواقفة أمامك ٠٠ بالموت ٠٠

ثم عدت الى غرفتك ٠٠ وتبعتك مع والدي ٠٠ ولا أعرف من أين أوتيت هذه القدرة على سرقة صورتك التي أراها الآن أمامي ٠٠ عندما كنت لاهيا بالحديث مع أبي ٠٠ ان هذه الصورة هي كل ما نلته منك ٠٠ مع التمثال الصغير الذي أعطيتني اياه في اليوم الثاني « لالعب به »!٠

وتركتنا يا حبيبي٠٠ بعد أن أعطيت والدي عنوانك الجديد ٠٠ ودعوته لزيارتك ٠ وعشت بعد ذهابك أشقى لحظات عمري ٠٠

كنت أدخل غرفتك وأتحسس جدرانها ٠٠ أتصورك واقفا بقامتك الرياضية الفتية ٠٠ وسيجارتك تحترق ببطء في زاوية فمك ٠٠ بينما تنظر الى أشيائك المبعثرة ٠ لقد جعلتني أحب الفوضى التي تعيش فيها ٠٠ كنت أتصورك في الغرفة وقد أقفلت الباب وأخذتني بين ذراعيك تضمني بشدة الى صدرك ٠٠ كنت أتخيلك أمام مكتبتك تفتش لي عن كتاب حب صغير ٠٠

نعم ٠٠ كنت أسمح لنفسي أن تتخيل كل شيء ٠٠

كنت أجتاز مرحلة قاسية ٠٠ وأعيش في حرمان مر ٠٠ ولم أجد ما أعوض به حرماني منك ٠٠ الا أن أحلم بك ٠٠ وآمل بقدوم يوم تحبني فيه ٠٠

اغفر لي يا حبيبي ٠٠ ان لكل انسان حرية الآمال ٠٠ والاحلام ٠٠

انني انسانة فقيرة الا من حبي ٠٠ وآمالي ٠٠

لكن هذه الآمال التي رسمها خيالي الصغير ٠٠ قيدتني بك ٠٠ من حيث أردتها أن تذيب أصفادي ٠٠ فكرت بك حتى كاد الشلل أن يصيب حواسي ٠٠ وأدركت أن حياتي دفينة بين يديك ٠٠ ولن أجد سعادتي وراحتي الا عندك !!

فقررت أن أذهب اليك ٠٠

لم أفكر تفكيرا جديا في شيء يتعلق عليه مستقبلي ٠٠ هذه احدى كلماتك ٠٠ أترى كيف كنت أحفظ كل حرف تقوله ؟٠٠

وذهبت اليك ٠٠

وقد استقبلتني مرحبا ٠٠ وشيء كالدهشة في عينيك ٠٠ لكني كنت أعددت الجواب لسؤالك الذي لم تسأله ٠٠ فارتميت على صدرك وقلت لك ببحة مخنوقة :

ـ انني لا أستطيع الحياة بدونك ٠٠

وبكيت ٠٠ بكيت كما لم أبك طول حياتي ٠٠ وجثوت على ركبتي معانقة ساقيك ! ٠٠ ومددت يدك تنهضني ٠٠ دون أن تقول شيئا ٠٠ ونظرت في عينيك ٠٠ كنت وكأنك لا تصدق ما تسمعه ٠٠ كان في عينيك ثمة بريق مخيف ٠٠ يشبه الاحتراق الذي يسبق الثورة ٠٠ ولاول مرة رأيتك تنظر الي تلك النظرة الولهى ٠٠ وشعرت بالسعادة تدب الى قلبي ٠٠

لقد استطعت أخيرا أن أخبرك بحبي ٠٠ وأحسست بيدك المرتجفة تداعب وجهي ٠٠ ثم احتضنتني ٠٠ وحملتني الى السرير !٠٠

كنت أدرك تماما ما الذي سيحدث ٠٠ بيد أني لم أبال ٠٠ كنت على استعداد لان أهبك كل شيء في سبيل حبك لي ٠٠

وكانت ليلة مفعمة بالسعادة ٠٠

نسيت بين ذراعيك من أنا ٠٠ نسيت كل شيء ٠٠ ولم أع الا شيئا واحدا هو أنك بقربي ٠٠ أشعر بدفئك ٠٠ وحنانك اللذين بحثت عنهما طويلا ٠٠ طويلا ٠٠ وحسبي من الحياة هذا ٠٠

أرجوك يا حبيبي ٠٠ لا تتهمني بالحقارة ٠٠ ان الحب الذي أكنه اليك والذي دفعني لان أهبك كل ما أملكه لهو حب شريف منزه عن أي قصد ٠٠ أنا لا أطلب منك شيئا الآن ٠٠ ولن أدعك ترى وجهي كي لا أثير في نفسك ذكرى قديمة أنت تسميها اليوم : مغامرة عابرة ٠٠

أنا لم أحترم نفسي مطلقا ٠٠ وكيف أحترم نفسي وقد شعرت مرة بلذة فائقة لمهانتي الشخصية !٠٠

كنت أدرك عندما استسلمت اليك أنني حكمت على نفسي بالموت ٠٠ لكنني كنت آمل ٠٠ أعيش على الامل ٠ الامل ٠٠ هذا السوط الرهيب المفتول من ذكريات باهتة ٠٠ وآمال لن تتحقق ٠٠

الامل ٠٠ هذا الاحساس المغموس في حيرة مرة ناجمة عن اليأس ٠٠ يأسي أنا ٠٠

كنت آمل أن تفهم كبر تضحيتي التي دفعني اليها حبي لك ٠٠ فترضى بي ٠٠ ترضى أن أعيش معك ولو خادمة في البيت ٠٠

لكنك مللتني بعد أسبوع ٠٠

ولم تجد طريقة لطردي الا أن تدس قبضة من المال في يدي وتقول لي بابتسامة بريئة ساذجة ، وكأنك طفل صغير :

ـ يجب أن تعودي الآن الى البيت !٠

لقد أبى خيالك يومها الا أن يتصورني عاهرة صغيرة ٠٠ أبيت أن تفهم ٠٠ وكأنك لا تعرف والدي ٠٠ ومركزي ٠٠ وعائلتي ، وأنت الذي عشت بين ظهرانينا عدة شهور ٠٠

عندما لامست أصابعي حزمة المال شعرت برجفة تعتريني ٠٠ وبشيء كالاسى المر يملأ فمي ٠٠ شعرت أن الغرفة بدأت تدور وتدور وكدت أتخاذل وأسقط على الارض لولا بقية من قوة دفعتني للتراجع والهرب من الغرفة ، حيث خرجت أعدو كالمجنونة ٠٠

لا يا حبيبي ٠٠ اني أرفض أن آخذ ثمن سعادتي ٠ أرفض أن أتخيلك وأنت تدفع لي ثمنها ٠٠

وهربت منك ٠٠ ولم ترني بعدها ٠٠

أما أنا ٠٠ فقد رأيتك كثيرا ٠٠ كنت أهرب من طريقك عندما ألمحك من بعيد اني لا أريد أن أعكر عليك صفوك بذكرى قديمة باهتة ٠٠

وتوفي والدي في تلك الاثناء ٠٠ واضطررت أن أعمل لاوفر بعض المال لاهرب به عندما تظهر علي علائم الحمل ٠٠ وعندما تظهر ثمرة حبنا ٠٠

وذات يوم ٠٠ غادرت المدينة ٠٠ الى قرية قريبة عشت فيها عدة أشهر بما لدي من المال ٠٠ حتى وضعت طفلي ٠٠٠

طفلي الذي يشبهك كثيرا٠٠ والذي أسميته باسمك أنت ٠٠ كم أتمنى لو تراه الآن يا حبيبي ٠٠ لكني هاربة ٠٠

هاربة منك ومن نفسي ومن الماضي الذي ينتصب دوما كالشبح الاسود أمامي ويأخذ بخناقي ٠٠

ان الحب الذي أكنه لك رغم هربي ، هو من

القوة ، والعنف ، والكبرياء .. بحيث يجعلني آنف من التفكير برجل غيرك ..

انني سعيدة جدا لانني عرفتك .. وأراني مدينة لك بكل هذه القوة التي تعينني على مواجهة الحياة .

لست أدري أين أذهب .. ولا أعرف ماذا سأعمل .. وكيف سأعيش .. قد أسقط في الهوة التي سقطت فيها الكثيرات غيري .. لكن انسانا واحدا لن ينال مني الا جسدا باردا لا حياة فيه ولا حس ..

ان كل ما في قلبي من طهر وحب ، ونبل قد وهبته لك .. واذا كان جسدي سيضطر يوما ما لان يعيش من خبز الناس . .فان قلبي لن يعيش الا من معين حبك الذي لن ينضب ولن يجف ..

اني أكره الحياة على نحو ما .. وان كنت سأضطر للعيش ولو على فتات الموائد فكل ذلك من أجل ولدي .. ولدك أنت ..

لقد تلاشيت الآن تماما .. أصبحت مجرد هيكل مجوف بعد أن أفرغت أسراري كلها ..

لقد كان هذا السر يملأني .. يغذيني .. بدأت أشعر بالبرد وبرعدة خفيفة تجتاح كياني التافه هذا ..

ثمة لحظات يريد المرء فيها أن يوتر قواه ، ويتربص بحواسه الى أقصى حدود الالم .. حتى تنبجس المعرفة كشرارةمضيئة .. فاذا بطيوف من الماضي تنتصب أمامه واضحة ، مشرقة .. ينظر اليها بعين الحذر تارة .. وبابتسامة عريضة تارة أخرى ويتساءل : أهكذا كنت ؟!

أما أنا . .فاني أحيا الماضي بكل رعشاته الدافئة .. بل اني لا أعي حاضري .. ولن أفكر بالمستقبل قط .. أما اذا كنت شقية بائسة .. فلأن الحياة لا تمنحنا أبدا سعادة دائمة ..

ترى .. لماذا تقدم لنا الحياة السعادة في اطار من الشوك ؟!

لماذا لا نستطيع الحصول على الاشياء التي نحبها في حين أننا نلتقي وجها لوجه مع الاشياء التي نكره ؟!

لا تحزن من أجلي يا حبيبي . .فلم تزل بي قوة للنضال .. تدفعني لان أتمسك بالحياة من أجل ولدي الحبيب .. انه ..

لقد استيقظ الآن . .وأخذ ينظر الي باسما وهو يضرب الهواء بيديه ورجليه معا .. ماذا سأقول له غدا عندما يبدأ بالاسئلة ؟.. ترى هل سيجأر بالصراخ في وجهي وهو يسألني عنك .. عن أبيه ؟..

لا .. لن أفكر بهذا الآن .. ولا أستطيع أن أفكر به بعد أن انطفأت .. وخمدت حواسي .. وتعثرت كل وثباتي ..

سأمضي الآن يا حبيبي .. بعد أن أخذت من وقتك **الكثير . .لقد أحببتك ..** وسأبقى على حبي الساذج الصامت هذا .. الى أن أموت ..

أتدري لماذا ؟..

لان الحب الصادق . .كالايمان .. كلاهما .. بريء .. وبسيط ..

وداعا ... والى الابد ...

عادل سلوم

شركة الزجاج والمصنوعات الخزفية

في دمشق

تقدم للامة العربية وزعيمها الرئيس جمال عبد الناصر

اسمى آيات التبريك بعيدي الميلاد ورأس السنة

آملة للامة اطراد الرفعة والسؤدد

بقيادة زعيمها المفدى

الحب والجمال في شعر الشابي

بقلم : محمد العيساوي الجمني

في سنة ١٩٠٩ م ولد الشاعر العربي أبو القاسم الشابي في بيئة تنتسب الى الدين بحكم الوظيفة ، حيث كان والده قاضيا شرعيا ، انتقل بحكم وظيفته الى عدة جهات في النواحي التونسية . وكان متخرجا من الازهر ، والزيتونه أكبر مراكز الثقافة العربية الاسلامية في العالم العربي والاسلامي عامة .. وكان مولد الشاعر بنواحي مدينة « توزر » حيث النخيل ، والاشجار ، والرمال ، والجمال . في الجنوب التونسي . وانتقل به أبوه الى مدن : « قابس »و« تاله »و« سليانه »و« مجاز الباب » و « رأس الجبل » و « زغوان » . اذن فالشابي جاب البلاد التونسية شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا . فشاهد جمال الواحات الساحرة في الجنوب ومزارع القمح والشعير والحبوب في الشمال ، كما شاهد أشجار الزياتين المنتشرة في الساحل الشرقي ، والزيتون ثروة تونس الاولى . كما رأى وعاين النخل الباسقات ، ذات الطلع النضير ، وتملت عيناه جمال تونس الخضراء ، وتنشق من أريجها الفواح المعطار . واتجه الشابي الى التعليم الديني بحكم بيئته الدينية . فانخرط بعد اتقانه القرآن الكريم في سلك التعليم الزيتوني ، وبعد المرحلة الثانوية أو النهائية بالزيتونة . درس الحقوق بتونس هذه هي خطوط ثقافته العامة . وكان لا يتقن أي لغة أجنبية بتاتا ، خلافا لما يظن في الشرق العربي . وقد كان الشابي متفتحا ، قابلا للمعرفة ، متلهفا للمطالعة ، والتحصيل ، شغوفا بالادب الحديث الى جانب القديم ، وارتوى بصفة خاصة من ينبوع الادب المهجرى الفوار، حيث قرأ لايمته ورؤوسه . وظهر هذا في الطابع التجديدي في شعره . وتأثر بجبران خليل جبران تأثرا واضحا بينا .. وهو يمثل قمة الرومانطيكية في الشعر العربي الحديث .

وأول حب للشابي نعثر عليه في ديوانه « أغاني الحياة » هو حبه « لتونس » حيث نجده يقول في قصيدة : « تونس الجميلة » ما يأتي :

أنا ياتونس الجميلة في لج الهوى قد سبحت أي سباحه
شرعتي حبك العميق واني قد تذوقت مره وقراحه
لست أنصاع للواحي ولومت وقامت على شبابي المناحه
لا أبالي .. وان أريقت دمائي فدماء العشاق دوما مباحه
وبطول المدى تريك الليالي صادق الحب والولا وسجاحه
ان ذا عصر ظلمة غير أني من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبي ولكن سترد الحياة يوما وشاحه

والشابي له من الشعور ، والاحاسيس ، والآلام ، ما أتعبه ونغص عليه حياته ، وأسقاه . فقضى حياته متألما ، متوجعا ، شاكيا ، باكيا ، محتجا متمردا أحيانا ، ومستسلما أحيانا أخرى . فهو يتأرجح بين القوة والثورة ، وبين الاستسلام والضعف .. والحب عند الشابي أو في شعره له جانب كبير . وهذه الناحية ـ الحب ـ اختلف فيها النقاد والدارسون له ولشعره .. هل أحب الشابي حبا واقعيا محسوسا أم هو مجرد

خيال ، وأوهام وتصوير ؟؟ المهم عندي أن الشابي أجاد في تعبيره عن الحب ، وتصويره له وحديثه عنه • وكثيرا ما تكلم عن الحب ، وناجاه مناجاة الصديق والحبيب الولهان • فلنسمعه يفسر الحب في صور بديعة أخاذة خلابة :

الحب شعلة نور ساحر هبطت
من السماء ، فكانت ساطع الفلق
الحب روح الهي مجنحة
أيامه بضياء الفجر والشفق
لولاه ما سمعت في الكون أغنية
ولا تآلف في الدنيا بنو أفق
الحب جدول خمر ، من تذوقه
خاض الجحيم ، ولم يشفق من الحرق

فهذا التصوير الرائع ، وهذه الآيات البديعة ، وهذه التفاصيل الدقيقة لا تصدر الا من انسان محب مجرب ذكي ، خاض بحار الحب ، وتعرض لموجاتها العاتية ، وجاس زواياها ومخابئها •• ونراه بعد أن صور الحب في الابيات الماضية يحول الكلام من صيغة الماضي الى صيغة الخطاب فيقول في قصيدة «أيها الحب» :

أيها الحب ! أنت سر بلائي
وهمومي ، وروعتي ، وعنائي
ونحولي ، وأدمعي ، وعذابي
وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

★ ★ ★

أيها الحب ! أنت سر وجودي
وحياتي ، وعزتي ، وابائي
وشعاعي ما بين ديجور دهري
وأليفي ، وقرتي ، ورجائي

★ ★ ★

أيها الحب ! قد جرعت بك الحزن
كؤوسا ، وما اقتنصت ابتغائي
فبحق الجمال ، يا أيها الحب
حنانيك بي ! وهون بلائي

ليت شعري ! يا أيها الحب ، قل لي
من ظلام خلقت ، أم من ضياء ؟؟

ويحب الشاعر ، ويسعد بحبه ، وينتقل كالعصفور بين الحدائق والازاهير يشدو بالاغاني الحلوة العذبة • ويقطف من عنقود السعادة أفانين ، ويردد من الانغام والاغاريد أحلاها وأطربها • ولكن الدهر لا يتركه في هذه السعادة ، بل ينتزعه انتزاعا ، ويستله كما يستل الموت الانسان من بين أفراد عائلته وأحبابه • ولنستمع للشاعر يصور ماضيه السعيد في قصيدة « الذكرى » ! ويقول فيها :

كنا كزوجي طائر ، في دوحة الحب الامين
نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصون ••
متغردين مع البلابل في السهول وفي الحزون •
ملأ الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون
حتى اذا كدنا نرشف خمرها ، غضب المنون •
فتخطف الكأس الخلوب ، وحطم الجام الثمين

وللجمال في شعر الشابي نصيب غير منقوص • فهو كالحب يشغل كثيرا من حياته ودنياه • ويملك عليه شعوره وحسه • فيصبه على الورق شعرا جميلا • ففي قصيدة « الجمال المنشود » يقول الشابي :

يا عذارى الجمال ، والحب ، والاحلام
بل يا بهاء هذا الوجود
قد رأينا الشعور منسدلات
كللت حسنها صباح الورود
ورأينا الجفون تبسم •• ، أو تحلم
بالنور ، بالهوى ، بالنشيد
ورأينا الخدود ، ضرجها السحر
فآها من سحر تلك الخدود
ورأينا الشفاه تبسم عن دنيا
من الورد ، غضة أملود
ورأينا النهود تهتز ، كالازهار
في نشوة الشباب السعيد

فتنة ، توقظ الغـرام ، وتذكيـه ،
ولـكن مـاذا وراء النهـود ؟

ولكن هـذا الجمال الذي شغل الشابي ، هـذا الجمال الحي المحسوس الـذي صوره وصبه في قالب شعري ساحر أخاذ • هـذا كله لم ينس الشاعر أن يتساءل في لهفة وشوق وحيرة • هل يملك هذا الجمال روحا طيبة ، ونفسا طاهرة ، وقلبا خاليا من الحقد ، والعداوة والبغضاء ؟؟ هل في هذا الجمال نفوس جميلة وقلوب طاهرة مضيئة ؟ أم يحتوي على نفوس مظلمة لم تبصر النور • وهي غارقة في الاثم والمنكر ، والظلال ؟؟ وهنا نجد السم في الدسم فيقول متسائلا بلهفة :

ما الذي خلف سحرها الحالم السكران
في ذلـك القرار البعيـد ؟؟
أنفوس جميلة ، كطيور الغاب
تشـدو بسـاحر التغريـد
طـاهرات ، كأنهـا أرج الازهـار
في مولـد الربيـع الجديـد
وقلـوب مضيئة ، كنجوم الليل
ضواعـة ، كغض الـورود
أم ظـلام ، كأنـه قطع الليل
وهـول يشب قلب الوليـد
وخضم يمـوج بالاثـم والنكـر
والشـر ، والظـلال المديـد
لست أدري ، فـرب زهـر شـذي
قـاتل رغـم حسنه المشهـود

ان الشـاعر يهفو الى عالم طاهر ، نظيف • عالم روحي بعيد عن الاثم والظلال ، والمنكر • ولهـذا يود الشاعر أن يحيا بفكرة الشاعر ، حياة الخيال والاحلام ، لا حياة العقل والواقع المعاش • لان الواقع الذي عاشه الشاعر وعاشره ، هو واقـع مملوء بالغش والاباطيل والخداع والشعوذة ، والتقلب ، والبعد عن الحق والمثل العليا • فلهذا نراه يقول في قصيدة « قيود الاحلام » :

وأود أن أحيا بفكرة شـاعر
فأرى الوجود يضيق عن أحلامي
الا اذا قطعت أسبابي مع الدنيا
وعشت لوحـدتي وظلامي
في الغاب في الجبل البعيد عن الورى
حيث الطبيعة ، والجمال السامي
وأعيش عيشة زاهـد متنسك
ما ان تدنسـه الحياة بـذام
هجر الجماعة للجبال ، تورعا
عنها ، وعن بطش الحياة الدامي
تمشي حواليه الحيـاة كأنهـا
الحليم الجميل ، خفيفة الاقدام
وتخر أمـواج الزمـان بهيبـة
قدسيـة ، في يمهـا المترامـي
فأعيش في غابي حياة ، كلهـا
للفن للاحـلام ، للالهـام

فالشابي أعطى للحب والجمال في شعـره أهمية كبرى ، وصورهما في اطار جميل بديع • وللشابي ولع شـديد بمخاطبة الحبيبة والتساؤل والاستفهام ففي قصيدة « صلوات في هيكل الحب » مخاطبا حبيبته قائلا :

عذبة أنت كالطفولة ، كالاحلام
كاللحن ، كالصباح الجـديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء
كالورد ، كابتسام الوليد
الى أن يقول متابعا :
أنت •• مـا أنت ؟ أنت رسـم جميل
عبقري من فـن هـذا الوجـود
فيك مـا فيـه من غموض وعمق
وجمـال مقـدس معبـود ••
أنت • مـا أنت ؟ أنت فجر من السحر
تجـلى لقلبـي المعمـود
أنت روح الربيـع ، تختال في الدنيـا
فتهتـز رائعـات الـورود

أنت انشودة الاناشيد ، غناك
اله الغناء ، رب القصيد
وبعد أن يصف الحبيبة وصفا حسيا ملموسا يقول :
كل شيء موقع فيك ، حتى
لفتة الجيد واهتزاز النهود
أنت فوق الخيال ، والشعر ، والفن
وفوق النهي ، وفوق الحدود
أنت قدسي ، ومعبدي ، وصباحي
وربيعي ، ونشوتي ، وخلودي
يا ابنة النور انني أنا وحدي
من رأى فيك روعة المعبود
★ ★ ★
وينتقل الشاعر الى وصف عيشته معها ـ والصورة خيالية طبعا ـ فيقول مكملا :
عيشة للجمال ، والفن ، والالهام
والطهر ، والسنى ، والسجود
عيشة الناسك البتول يناجي
الرب في نشوة الذهول الشديد
فالاله العظيم لا يرجم العبد
اذا كان في جلال السجود
والشاعر عند رؤية حبيبته تحلو له الحياة من جديد وتتفتح له الآمال ، ويرى طريق المستقبل أمامه مفتوحا ممهدا • فيصور شعوره ، وأحاسيسه ، ودنياه الجديدة ، وآماله الخضراء الزاهرة فيقول في قصيدة « أراك » مصورا أحاسيسه ومشاعره عند رؤية الحبيبة فيقول :
أراك فتحلو لدي الحياة
ويملأ نفسي صباح الأمل
وتنمو بصدري ورود عذاب
وتحنو على قلبي المشتعل
ويفتنني فيك فيض الحياة
وذاك الشباب ، الوديع الثمل
وأعبد فيك جمال السماء
ورقة ورد الربيع الخضل
والشابي ذواق للجمال ، حساس به ، تنفعل به نفسه ، وتهفو له روحه ، وهو انسان ذكي شاعر ، يتمتع بدائرة واسعة ، تصلح للتعداد والتفصيل • وله المام بأسماء الاشجار ، والحشائش ، والنباتات والزهور ، والورود • فنراه في قصيدة « ذكرى صباح » يذكر تفاصيل واسعة عما سجلته عدسته الذهنية. والبصرية في هذا الصباح فهو يقول في « الصباح » وتصويره :
قدس الله ذكره من صباح
ساحر في ظلال غاب جميل
كان فيه النسيم ، يرقص سكرانا
على الورد والنبات البليل
وضباب الجبال ، ينساب في رفق
بديع ، على مروج السهول
وأغاني الرعاة ، تخفق في الاغوار
والسهل ، والربى والتلول
ورحاب الفضاء تعبق بالالحان
والعطر ، والضياء الجميل
والملاك الجميل ما بين ريحان
وعشب ، وسنديان ، ظليل
وصورة الراعي في البادية والارياف مع غنمه ، وهو ينتقل بها في السهول الخضراء والروابي المعشوشبة ، والاودية الجارية • وغنمه ترعى الحشائش ، والاعشاب وتمضغ الفكر والاخيلة ـ على حد تعبير الشابي ـ وترعى الكلأ الذي أرضعته الشمس وغذاه القمر • والراعي يسكرها بأنغامه الساحرة ، المنبعثة من شبابته • هذا المنظر مألوف لسكان البوادي الرحل • وقد يكون هذا الباب مطروقا من الشعراء ، خصوصا الجاهليين • ولكن الشابي صوره في صورة جميلة خلابة • وأعطاها من أصباغه وألوانه ما جعلها زاهية ساحرة أخاذة • ولنأخذ مقاطع من أغاني الرعاة :
أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة ••

والربى تحلم في ظل الغصون المائسة ،
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة ،
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسة
أقبل الصبح جميلا يملأ الأفق بهاه
فتمطى الزهر والطير ، وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحي ، وغنى للحياه
فأفيقي يا خرافي ، واهرعي لي ياشياه
واتبعيني يا شياهي ، بين اسراب الطيور
واملأى الوادي ثغاء ، ومراحا وحبور
واسمعي همس السواقي ، وانشقي عطر الزهور
وانظري الوادي ، يغشيه الضباب المستنير

هذه ثلاث مقاطع من « أغاني الرعاة » التي فيها من الصور الشاعرية الجميلة الشيء الكثير وهذه نماذج من صور الحب ، والجمال في شعر الشابي أنقلها للقراء بدون تعليق أو تفلسف .. فحق الشعر أن يقرأ ، وان ينفعل به تلقائيا وبدون ايحاء أو توجيه . حسب الشعر احساس القارىء واهتزازه ، وفهمه ، وانفعاله.. وحسب الشعر أن يعرفه القارىء ويدرك مغزاه،ومرماه، وأهدافه البعيدة .. ومات الشاعر بعد أن عاش من الحياة خمسة وعشرين ربيعا .. فهو من ضحايا النبوغ الباكر حيث فارق الحياة في سنة ١٩٣٤ م وفقدت العروبة بموته شاعرا حرا مجديا ، ورومانتيكيا كبيرا . وسلام على الشابي يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبعث حيا .

محمد العيساوي الجمنى
القاهرة
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

قريبا :

عن دار الثقافة في دمشق

المعذبون

قصة الشعب الذي فقد ذاته
والامة التي عرفت طريقها

محمد الخطيب

صدر حديثا :

عن دار الثقافة في دمشق

عيناك ليل

شعر

حنا الطيّار

من الشعر التشيكي

تعريب : زكية الصوفي

ان ترجمة الشعر التشيكي الى اللغات الاخرى تفقده الكثير من روعته ومع ذلك لا بد لنا منها للتعرف اليه ، فهي وان شوهت جماله ، كافية لاظهار ما يمتاز به من سمو وسحر وغريب ٠

وسنتحدث اليوم عن شعر نيتزلاف نيزفال الذي تظهر فيه هذه الصفات الثلاث المميزة للشعر التشيكي ٠

عاش نيتزلاف نيزفال في النصف الاول للقرن العشرين ٠ وتوفي منذ سنتين ٠٠ ومع أنه لم يتم انتاجه ، يعد من أكبر الشعراء المعاصرين ٠

كان يستمد شعره من حياته ٠٠ يتنقل في الطبيعة فيدهش لكل ما يحيط به٠٠ وكأنه يراها لاول مرة ٠٠ النجوم ٠٠ الغيوم ٠٠ تموجات الجداول وفروع الاشجار تثير دهشته ٠٠ فيتوقف حينا لينقل الى أصدقائه هذه المرئيات ٠٠ وليصور لقرائه اكتشافاته فتأتي صوره مرة قريبة مألوفة ومرة أخرى بعيدة غريبة ٠٠ ويتوقف حينا آخر ليتصور المستقبل ، وليختزن من هذه الاصداء كنوزا يعب منها اذا ما خلا لنفسه ٠٠ ويتكلم ٠٠ فتأتي لغته شعرا جميلا غنيا بالصور ، طافحا بالنكتة ٠٠ وكثيرا ما يكتفي بالتلميح ٠٠ فتراه يتوقف في نصف جملته ويبتسم وكأنه يقول : « لا ضرورة للشرح ٠٠ لقد فهمت ما أريد ٠ »

من ديوان فيتزلاف نيزفال
المسمى « براغ في أصابع المطر »

الساعة الرابعة ظهرا يوم ربيع

-١-

قرأت قصة
نسيت عنوانها
أذكر منها طاولة خشبية
في باحة
مدينة لا اسم لها ٠ والعطلة
أتذكر اليوم كل ذلك
على سطح مقهى
مرت توا عربة فحم
وانقلب ابريق في غابة قوشا
وصوت أمي لم يدعني لتناول طعام العصر
ورائحة دخان سجاير انجليزية
انه دائما أنا
هذا الصبي لقصة منسية
الذي يتبع بانتباه
الدولاب حيث يلتهب آخر شعاع

-٢-

في غابة من القبعات الزرقاء
يوجد نبع
ينحني زنجي ليشرب
من ماء العين حيث سقطت وريقة كستناء

-٣-

كتابة الشعر
لا تعني الزهد بالحياة
حتى ولو لوقت قليل كما تنسى الحياة عند معانقة امرأة
من أجل حياة أعطي حياة أخرى
كصورتين في زجاجتي منظار

وكحركة يدي عندما أسجل توقيعي

-٤-

الحياة ومراقبة الغيوم

هذا يسمى حلما

أريد عالما لا أزعج فيه حتى ولا طفلا

-٥-

ميال بطبيعتي للطف وللطيبة

اسميك بكبرياء ثورة

-٦-

سيتغير العالم

وسيصبح الانسان حزينا

حتى يجد بذاته الصديق المخلص

حتى يجد بذاته الصديقة الوفية

حتى يجد بذاته الشاعر والطفل

* * *

سلات الشوارع

لا تحسد أبدا انسانا أيها القلب

أبدا أبدا أيها القلب العازم على كل شيء

والا أضعت سموك « الكريستالي »

والا أصبحت كهذه السلال التي يلقى فيها بالرماد

وبجميع أنواع الاقذار

ان التقاطها في الصباح يجعلني أفكر ببيع المزاد

وبهذه الطرق القريبة من المحطات

والا كففت أيها القلب عن كونك منظرة سحرية

يرى منه ما في جميع القلوب وما وراء جميع النوافذ

الاسرار

في أسفل الاسوار السكوت وبعض النجوم

للمفكر الوحيد

كالجندي الذي يقوم بالحراسة

انه لا يذهب مطلقا ويعود دائما على رجليه

كما لو أنه كان بانتظار أحد

كما لو أنه كان بانتظار امرأة أو صديق ميت

وحده مع كوكب

المدينة من بعيد تشبه القربة

حيث يمكن الشرب

تحت الاضواء الخالية من المظلات

هنا لا يسمع غناء صاحب الكرم البعيد

ولا أنين المقبرة

وكأعجوبة شبيهة ببقايا امرأة ، تزهر هنا شجرةالنسرين

المدينة من بعيد تشبه الاكورديون

من جهة يتصاعد صوته ومن جهة أخرى كلب ينبح

اسمع هذه الاغنية ذات الصوتين

الحالمة كهذا الحالم المنفرد

لو لم يكن هنا

لاغمضت عيون النجوم من الاعياء والحزن

١٩٣٦

قنصلية تشيكوسلوفاكيا

في دمشق

تتقدم من الامة العربية مهنئة

بعيدي

الميلاد ورأس السنة الميلادية

راجية لها اطراد التقدم والازدهار



طفلي

شعر : علي احمد حسن

ما الذي رف على القلب نديا ... ومشى يملؤه خصبا وريا
ما الذي هز واحيا ، حين حيا ... لا تسلني ، انها بسمة طفلي

●

بت من أجلك يا طفلي اسقى ... علقم العيش ، وكي تسعد ، اشقى
واراني مخلصا أفنى ، لتبقى ... طالبا عزك ما عشت بذلي

●

أنت مني كل شيء في حياتي ... أنت لو تعلم أغلى أمنياتي
أنت روحي ، أنت نفسي ، أنت ذاتي ... أنت من ترخص دنياي وتغلي

●

لا تسلني كيف أهواك ، فاني ... بت من أجلك أبكي وأغني
هكذا صغت على حبك لحني ... أريحيا ، ولكي تبقى أصلي

●

جئت هذا الكون من قبلك طفلا ... ورعتني مقلة الوالد جذلى
آه ما أجمل دنياك واحلا ... ضاحكا تقبل نحوي وتولي

●

أنت في البيت ترانيم وعرس ... ولاهل البيت في الوحدة أنس
أنت زرع للأماني ، أنت غرس ... أنت في الغرفة اضمومة فل

●

تنحني حولك في الغفوة أم ... ومع اليقظة تقبيل وضم
واب حولك ما عاش يهم ... فهو من اجلك يدعو ويصلي

●

طاب مغناك مجيئا وذهابا ... وحلا لفظك لفظا وعتابا
واذا شئت مديحا ، أو سبابا ... كنت من ذاك وفي ذاك بحل

●

سكر يرضيك عند الغضب ... وقليل من نقود الذهب
عشت تعليلة أم وأب ... أنت من نفسيهما طور التجلي

●

بغد يكبر طفلي ، ويشب ... وحديث الطفل من بيتي يخبو
أين من أهوى صغيرا وأحب ... انه أصبح في الساح يجلي

●

انه يحمل هم الوطن ... وهو مدعو ليوم المحن
قال : للموت ، وهذا كفني ... ان أكن غير عزيز ومدل

●

هكذا الطفل سيغدو ويصير ... وعلى أجنحة العز يطير
فازحفوا في يومه البكر وسيروا ... انه يوم عطيات وبذل

●

ذلك الطفل الذي مات أبوه … وتخلى عنه في الضيق ذووه
جائع ، فامشوا اليه واطعموه … وامنحوه كل ايثار وفضل

●

ربما أصبح ذا شأن عظيم … يوم نستنفر للخطب الجسيم
انه مدخر العزم ليوم … يوم تأييم وترميل وثكل

●

لا تضنوا ثم بالعطف عليه … أنتم منه جميعا ، واليه
أنتم خير أب بعد أبيه … أنتم من أهله أعطف أهل

●

نحن نحيا للاماني العربيه … مثلما شيئت مع الدهر أبيه
نحن أحفاد العلى والعبقريه … نحن من أكرم أمجاد ونسل

●

شاءنا ناصر لليوم العصيب … فزحفنا في نهوض ووثوب
وحشدنا لملاقاة الخطوب … كل حقد في حنايانا وغل

●

ما فلسطين لابناء اليهود … من لقيط وطريد وشريد
عاش آبائي بها ، عاش جدودي … وبها بيتي ومحراثي وحقلي

●

أنا منها ، واليها سأعود … لا نفايا في رباها لا يهود
عرب فيها ، حشود وحشود … هزمت كل عتي ومضل

●

وتلفت نحو افاق الجزائر … انها تحمل للشعب البشائر
يا فرنسا ان ديغولك خاسر … وهو لا يشبع من حمق وجهل

●

نحن لا نبرح نعطيها ضحايا … ونلبي نحو داعيها المنايا
نحن فجرنا على البغي شظايا … تحرق الباغين في كل محل

●

ليس عمان لعمري وعمان … غير شطري ، فهل فيها أهان
لي شعب ، وهو فيها بركان … ضد تاج العار والخسة يغلي

●

ثورتي ، ثورة شعب عربي … حازم الوثبة في الروع أبي
شاءها من عمر ، أو من علي … فهي لا تعرف أصلا غير أصلي

●

من على النيل استهلت وتمطت … وهنا في الشام في الغوطة حطت
ان تأت بغداد عن ركبي وشطت … ان في بغداد لا يبرح أهلي

●

صفقوا للغد للطفل الكبير … للاماني البكر في حضن السرير
يا أبا الطفل تمتع بالحبور … والاماني ، انما مثلك مثلي

●

كلنا آباء أطفال صغار … قد وجدنا لمهمات كبار
وتعهدنا ليوم الانتصار … طفلك الناشىء يا صاح وطفلي

●

بانياس في ٣-١٠-١٩٦٠ … احمد علي حسن

الزوجة الذبيح

بقلم : كمال نجمة

في احدى القرى النائية في سهول حوران المنبسطة ، انبلج الصباح على نبأ يقول : ان زوجة ابراهيم العشيري ـ الاعرج ـ قد هربت مع تاجر الزيت موفق الشمي ٠ وبعد أسبوع من هذا النبأ ، نامت القرية على خبر مفاده : ان ابراهيم العشيري ، غسل شرفه ، حيث ذبح زوجته في دمشق ، وسلم نفسه للحكومة ٠

وتمر اجراءات الحكومة بحق ابراهيم العشيري ، من تحقيق وتمثيل للجريمة ، وغير ذلك ، حتى يأتي اليوم الاخير فيها ، حيث يقف الاستاذ أحمد ، المحامي ليرافع عن المتهم فيقول :

لا شك ان الدفاع ، سادتي القضاة ، عن هذا المجرم الذي يقف أمامكم الآن حانيا رأسه ، مطرقا بصره خلف قضبانه الحديدية ، فيه شيء من الصعوبة ٠ لانه يعرف القانون ويعرف العدالة ، سفاك للدماء ، وهل أصعب وهل أشد هولا ممن يقدم على سفك دم أخيه الانسان ، فكيف الحال اذن والدماء المراقة ، دماء زوجة هذا المجرم ٠ دماء أم أولاد هذا القاتل ٠٠٠٠ اذا ما أخذت هذه الجريمة على سطحيتها ، على بساطتها ، لا أراني الا مضطرا للقول ان حبل المشنقة ما خلق الا لمثل هذه الرقاب ٠٠٠ بلى يا سادتي القضاة ، ليس من مجرم أشد هولا ، أشد قساوة ، ممن يقدم على قتل زوجته بعد أن قضى واياها ردحا من الزمن ، حملت معه عبء الحياة بمرارتها وشظفها ، بمرها وحلوها ، بقبحها وجمالها ٠٠٠ ولكن والحق يقال ، ما كنتم يا رجال العدالة ممن يأخذون القضايا على محملها الساذج ، على واقعها الظاهر ، على مظهرها البسيط ، فلا بد من سبر غور كل قضية تطرح أمامكم ليحكم ضميركم الطاهر وهو مرتاح الى حكمه ، ولا بد من الغوص في أعماق هذه القضية لتروا مجرمكم هذا ـ وأيم الحق ـ ليس من المجرمين الذين تآخوا والاجرام ، وتعانقوا مع الشر ٠ ودعوني ـ أستميحكم عذرا ـ فأسرد بعضا من التفاصيل والملابسات التي اكتنفت هذه الواقعة ٠

منذ سنتين أيها السادة تزوج المتهم ابراهيم العشيري من الصبية القتيلة ، وهو الشاب الاعرج ، الذي توفي والداه تاركين ثروة بسيطة استطاع بها أن يفتح ـ دكانا ـ صغيرا في قريته الآمنة الوادعة في سهول حوران ، وعمل هذا الشاب ما يستطيعه وما لا يستطيعه من أجل اسعاد زوجته وهنائها ، وكما تعلمون أيها السادة ان المرأة في القرية هي اليد اليمنى للرجل ، تشد أزره وتمد يد العون اليه ، خاصة أن الرجل هنا بحاجة الى مساعدة بسبب عاهته ٠ حيث كان على الزوجة أحيانا أن تأتي الى الدكان لتقوم ببعض الخدمات لزوجها وبهذه المناسبات كان لقاؤها مع الشاب موفق تاجر الزيت الشامي ، الذي كان يمد زوجها بالزيت لدكانه ٠ وكان أحيانا أيضا يبيت في القرية ، حيث ينزل في بيت ابراهيم العشيري ضيفا مكرما ، تبعا لتقاليدنا في القرية ٠ ولا شك أن الشيطان قد غرر بالزوجة ، حيث سولت لها نفسها الخيانة ، والدوس على عرض زوجها ، وهي القروية التي تعلم علم اليقين أن رجل القرية دينه الستر وحزبه العفاف والتقوى ٠ كل ذلك حين هربت في ليلة ليس فيها ضوء قمر ، مع هذا الشاب الارعن ، الذي زين لها حياة دمشق ومسراتها ، وصور لها الخيانة بأنها ضرب من ضروب الشجاعة والاقدام ٠

أكون أيها السادة حتى الآن قد ذكرت لمحة عن أبطال الجريمة التي نحن بصددها ٠ والآن أجد أن علي الولوج في الدوافع والظروف والنتائج التي كان المتهم قد تأثر بها حسب مفهومه واعتقاده ، لاوضح لهيئة المحكمة الموقرة شكل الجريمة العام الحقيقي ، حتى تستطيع

أن تبني حكمها الموقر عادلا بحق هذا المتهم .

هناك ثمة ناحية أحب قبل كل شيء ، بل أرجو ، أن تؤخذ بعين الاعتبار ، خاصة من سيادة النائب العام الذي طلب للمتهم السجن خمسة عشر عاما مع الاشغال الشاقة . وهي أن تتصوروا معي هـــذا الرجل صاحب العاهة المستديمة وقد سئم ومل الشفقة من قبل الناس . ويمكننا أن نقول بعد أن نغوص في كنه نفسيته ومحيطه أنه أبى على نفسه أن يشير الناس اليه فوق اشارتهم الى عاهته ان ابراهيم العشيري فقـــد عرضه ، فهو ملوث الشرف . وكما أعلم وتعلمون ما للقرية من تقاليد وسنن ومـا للقرويين من اجـراءات يتخذونهـا في مثل هذه الحالة ، حتى انه يعاب على أحدهم ان لم يفعل ما فعله هذا المتهم .

أقول ان هذا المتهم لم يكن على استعداد لان يتحمل فوق اشارات الشفقة ـ والشفقة تحز في النفس أحيانا أكثر من الاســاءة ـ اشارات فقـدان العرض ، وتلوث الشرف ، وهو القروي الذي طالما سمع عن جدوده أن الشرف الرفيع لا يسلم حتى يراق على جوانبه الدم .

هذا كله نستطيع أن نعتبره دافعا للجريمة . وأنا كمحام لن أكتفي أبدا بالذي ذكرته عن الظروف المحيطة والدافع ، انما سأزيدها وضوحا تستطيعون على نوره أن تتبينوا الجريمة بشكل أعمق وأصح . لقد ذهبت ـ سادتي القضاة ـ الى قرية المتهم ، فسمعت العجب ولقيت العجب سمعت أن صبيحة انتشار نبأ هرب الزوجة القتيل مع الشاب موفق ، شد أخو القتيلة عصا الرحيل الى دمشق ، وأخذ يفتش عن شقيقته ، ليقتلها ، لانها لوثت بخياناتها شرف العائلة المصون . ولقيت العجب عندما قيل لي ان الناس في القرية يعرفون موفق الذي هربت معه القتيلة ، ويعلمون أنه شاب أرعن سكير ، وكانوا يتهامسون فيما بينهم وقتذاك ، بأن موفق لا بد تاركها بعد شهر ، وأن نهايتها في دار البغاء بدمشق .

سمعت كل هذا أيها السادة ، ثم وضعت نفسي مكان المتهم قبل فعل جريمته ، والمفاهيم المحيطة به تتلى على رأسي وتطرقه ، عندها أحسست بالالم يأكل جسدي ، والقنوط يحرق روحي وشرفي . هل أنا بهذا الضعف والجبن ، وبهذه الحقارة ، حتى أنتظر شقيق زوجتي يمحو العار وهو عاري ، ويغسل الشرف وهو شرفي .. أبدا لن يكون هذا ، أنا زوجها . ونظرت حولي فرأيت طفلي الرضيع يصرخ يريد أمه . وسرحت أفكر في حاله غدا ، عندما تؤول والدته الى دار البغاء مثلا ، وفي حالتي وموقفي أنا .. أنا الذي أعلم أن عيون القرية ليست كعين الرضا ـ عن كل عيب كليلة ـ من سيعتني بولدي الوحيد ، الذي أبني عليه الآمال الجسام .. هل أنتظر حتى يترعرع ليعيره أعـداؤه وعواذله بأمه .. ألا يكفي ما تحملت أنا من تعيير وشماتة من قبل أعدائي بسبب عاهتي . لا لن يكون هذا ، ولا بد لي أن أغسل هذا الشرف ، ولا سبيل لذلك سوى الدم .

بهذه الظروف أيها السادة ، وبتلك الاحاسيس ، أحيط ابراهيم العشيري قبل فعل جريمته ، وبهذه الدوافع المنطقية القوية شعر ، فنظر بمنظارها ، واستوعب مفاهيمها ، وبقي علي حتى أستكمل مرافعتي ، أن أوجز النتائج التي كان يتوخاها المتهم من وراء جريمته ، حيث أستطيع أن أجزم بأنها نتائج معنوية بحتة ، فهو غير راغب في سرقة مثلا ، أو أي كسب يبتغيه من فعل جريمته ، اللهم الا أنه أراد حسب مفهومه ومفهوم محيطه أن يثبت لنفسه ، ولمحيطه ، أنه قادر كل القدرة على صون عرضه وحمايته ، خاصة أيها السادة والمتهم بهذه الحالة ، وبهذا الشعور ، شعور النقص ، نتيجة عاهته المستديمة ، لان المعروف في علم المنطق والفلسفة أن طبيعة من يشعر بنقص يحاول دائما وأبدا أن يثبت وجوده ، ويظهر قدرته .

كل هذا غيض من فيض ، وساقية من نهر ، لاني لم أحب أن أطيل ظروف ودوافع أخرى ، بل اكتفيت بهذا ، راجيا في نهاية مرافعتي الرحمة بهذا المتهم ، مع العلم بأن تسليم ابراهيم العشيري نفسه للشرطة دون ملاحقة ، ثم رفضه الشديد في البدء لوضع محام له ، كل هذا ، دليل ساطع ، وبرهان قاطع على صدق تفسيري ، وواقع كلامي .

دمشق — كمال نجعه

اميرات شاعرات

بقلم : عمر الخطيب

حين كان أغلب الامراء وأولياء العهد يجلسون بجانب آبائهم الملوك وأمراء المؤمنين يتدربون على شؤون الحكم ، وسياسة الرعية ، وادارة الدولة ، ثم ينصرفون الى معلمي الفروسية ، وأساتذة الفنون والادب واللهو ، كانت قصور شقيقاتهم الاميرات منعزلة شيئا ما عن تلك الامور ــ بحكم الطبيعة والتقاليد ــ وكأني بها صومعة انقطع بها بعضهن للادب والشعر ، أو الطرب والغناء ، أو غير ذلك . فكانت قصورهم على الغالب منتدى أدبيا وثقافيا ضم كبار الادباء والشعراء والفلاسفة والمفكرين والمطربين والملحنين . فهم وجدوا فيها عناية وتقديرا لهم ولفنهم ، ولانهم بالتالي لن يجدوا مكانا أرفع ومقاما أسمى ــ ونساء شريفات رفيعات الحسب ، شقيقات الملوك والامراء يتهاوى الرجال على أقدامهن ــ من هذا المقام ومن هذه النساء ذوات المنزلة الرفيعة ،والثقافة العالية ، والمنادمة الشيقة اللذيذة . فكان الطريق لهم ــ عدا هذا ــ سلما للنجاح والشهرة أولا ، وثانيا متعة للفكر والروح في هذه الحضرة . وبالتالي كانت هذه الاميرات الشاعرات يقلن الشعر ، وبذلك تمكنوا من الشعر وهم ذوو فطرة فيه ، فأجادوا ، ونادموا أولئك الشعراء الافذاذ ، فكانت استفادة مشتركة .

ولقد اشتهر فيما وصل الينا من كتب تاريخنا السالف أميرات أديبات شاعرات ، عرفن بمنتدياتهن الادبية ، وقيل في محضرهن كثير من الشعر العذب الجيد، كما أنشدن الشعر الجميل فنقله الناس خفية وتناقلوه سرا حينا وجهرا أحيانا .

ولو شئنا أن نراعي التسلسل التاريخي والترتيب الزمني لوجب علينا أن نبدأ ب (سكينة ابنة الامام الحسين) وحفيدة الزهراء وسليلة النبوة . كانت شاعرة ناقدة اشتهرت بمجالسها ومنتداها الادبي[1] ، فكان يأتي الشعراء اليها وينشدون أمامها ــ كسوق عكاظ في الجاهلية ــ فتنقده وتقومه وتناقشهم وتحدثهم، وتحفظ الشعر البدوي الصافي الرقيق والجزل المتين ، وثم تقول الشعر فيطرب له الشعراء وما يجدون فيها الا شاعرة مجيدة ، وناقدة بارعة ، وأديبة مثقفة . وكم كانوا يحتكمون اليها فتقضي بالذي تراه صحيحا . فيقرون لها الرأي ، ويرضون به . ويسألونها عما خفي عنهم ، أو لا يجدون له تفسيرا ، فتعطيهم الجواب الصحيح ، والشرح الكافي الوافي. فتقاطر الشعراء اليها من كل فج وصوب ، واجتمع الى مجلسها خيرة شعراء العصر وأدبائه . وقيل في محضرها جيد الشعر وعذبه ، كما حفظ منها هؤلاء ما كانت تسمعهم من شعرها وتنادمهم به ، فتناقلوه وسرى بين الناس . وهي بذلك حفظت للشعر والادب هالتهما الرفيعة ، وأفادتهما افادة كبرى . ومما يجدر ذكره أن مجلسها كان يخلو من الشعر الرخيص ، والغزل الماجن .

وميسون تلك البدوية الجميلة ذات الطلعة الملائكية الباسمة ، والروح الطلقة التي أعجب بها الخليفة الاموي الاول الداهية معاوية ، فكانت زوجة له . ورغم أنها لم تكن ابنة أو أختا لامير أو ملك الا أنها كانت زوجة لامير المؤمنين فترة من الزمن ، ولقد حق عليها القول . وان أنس لا أنسى أبيات خالدات على الدهر لهذه الشاعرة الصافية الفطرة التي تقول الشعر سليقة بدوية ، اكتسبتها من أرض العرب الممتدة بصحاريها ورياضها ووهادها وجبالها ، كشأن أبناء جلدتها اذ ذاك .. فهي عاشت حيث منبت اللغة ، وحيث اللسان العربي لم يتأثر بلحن أو تطعيم . واني لاجد في أبياتها هذه جمالا وأي جمال :

لبيت تخفق الارواح فيه
أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب الي من لبس الشفوف
وأصوات الرياح بكل فج
أحب الي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني
أحب الي من قط ألوف
خشونة عيشتي في البدو أشهى
الى نفسي من العيش الظريف
فما أبغي سوى وطني بديلا
فحسبي ذاك من وطن شريف

فهل هنالك أصدق تصويرا ، وأصرح ايضاحا من هذه الابيات التي تدل على اخلاص الشاعرة لبيئتها وقومها ولحياتها السابقة الوادعة الهادئة الجميلة ، وتضحيتها بالقصور والجاه والالقاب في سبيل ذلك؟ مما حدا بمعاوية

(١) في دمشق اليوم (منتدى سكينة الادبي) يقام في دار السيدة ثريا الحافظ عضوة الاتحاد القومي ، وهي تحيي بذلك ذكرى ذلك المنتدى القديم .

أن يسرحها ويعيدها لقومها فورا ، فما خلق البلبل الا ليشدو حرا طليقا ، وليس حبيس قفص من ذهب ٠

ويطل علينا من وراء ستائر حريرية ، وقصر شاهق فخم تحرسه العبيد السود، وتحيط به البساتين الخضراء، وتلحس أقدامه مياه دجلة الصافية العذبة ، وجه يحمل سمة الحضارة بكل معانيها ، والنبل والجمال الباهر الذي لا يقاوم، والعظمة والرهبة التي تلقي الخشية في النفوس٠ ذلك وجه لا يخطىء ، وتلك صفات (عليه بنة المهدي) وشقيقة الخليفة هرون الرشيد ملك العرب العظيم الذي بلغت في عهده قوة العرب وحضارتهم ذروتها ٠

يقول الدكتور المرحوم احمد امين في وصف قصور (علية وشقيقاتها) (١) :

(٠٠ وهذا القصر كأنه مدينة صغيرة ، له أجنحة متعددة٠٠ هذا جناح الخيزران أم الرشيد بكتبها وغلمانها وجواريها ٠ وكانت مواكب الامراء تأتي الى بابها) ٠ (وهذا جناح « علية » أخت الرشيد ، وكانت شاعرة جميلة ، مفتنة لها عشاقها وزوارها ومجالس أنسها وسرورها ٠ وهذا جناح العباسة أخت الرشيد ، فتاة جميلة أيضا شاعرة تحب جعفر البرمكي وتراسله) ٠

ولقد دعيت علية باسم (الاميرة المغنية) (٢) لانها كانت شاعرة مجيدة ومغنية بارعة، ومؤلفة حسنة التلحين، أخذت بعض هذا عن أمها (مكنونة) جارية المهدي ثم زوجته٠ فقد كان للفن في عصر « علية » دولة ذات سلطان، وكان قصر الخلافة يزخر بأمراء الشعر وأساتذة الفن ٠ تصف الدكتورة بنت الشاطىء (علية) حين تفتحت موهبتها فتقول : (٣) (٠٠ ونضجت موهبة « علية » فاشتدت عليها وطأة الصراع ، ومضت تتشاغل عنه بتلاوة القرآن الكريم ، وقراءة دواوين الشعر ، فكأنما كانت تتداوى بدائها : لقد أرهف الشعر مزاجها الفني ، وصقلت التلاوة ذوقها الادبي ، فلم تجد متنفسا في غير الشعر ، ترضي به موهبتها الموسيقية٠ وما كانت التقاليد لتنكر على الاميرة شاعريتها ، أو ترى فيها خروجا) ٠ واضطرت في ذلك الجو الذي كانت تعيشه قصور الخلفاء العباسيين الاول من شدة على حركات القصور ومراقبة على ما يجري في الخفاء من أسرار أن تحيا حياتين: احداهما تظهر فيها أمام الجميع متعبدة زاهدة تقرأ القرآن ولا تنقطع عن الصلاة ، وأخرى حياتها الخاصة وفيها تترك لنفسها العنان فتنظم الشعر العاطفي الملتهب ، وتصنع له اللحن المثير ، ثم تدفعه للجواري فيشدون به في مجالس الخليفة والامراء ، ثم تملأ به أرجاء بغداد طربا ٠

ووصل للرشيد مرة بعض شعرها في غلام له يدعى (طل) وفيه تقول :

قد كان ما كلفته زمنا
يا (طل) من وجد بكم يكفي
حتى أتيتك زائرا عجلا
أمشي على حتف الى حتف

فاستدعاها الرشيد غاضبا وسألها عن الامر فقالت: (لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ، ولا أقول في شعري الا عبثا) ٠ فسكت الرشيد وصدقها ٠

غير أن علية أوردت بعد ذلك ذكره في شعرها مكنونا مثل قولها :

أيا سروة البستان طال تشوقي
فهل لي الى (ظل) لديك سبيل
متى يلتقي من ليس يقضى خروجه
وليس لمن يهوى اليه دخول ؟

وكان لعليه اخوان من أبيها غير الرشيد (تخففا من أعباء الملك فأرضيا نزعتهما الفنية دون تحرج (١) ، هما (ابراهيم بن المهدي) شغل عن الخلافة بصنعة الالحان فعد من أعلام الفن في زمانه ٠ و (يعقوب بن المهدي) وكان أبرع زامر في عصره ٠

سئلت (عريب) المغنية عن أحسن مجلس رأته فقالت : ذاك يوم شهدت علية بنت المهدي مع أخويها ابراهيم ويعقوب ، فبدأت عليه فغنتهم من شعرها وصنعتها ، وأخوها يعقوب يزمر :

تحبب فان الحب داعية الحب
وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر ، فان حدثت أن أخا هوى
نجا سالما ، فارج النجاة من الحب

وغنى ابراهيم في صنعته على زمر يعقوب :

يا واحد الحب مالي منك اذ كلفت
نفسي بحبك الا الهم والحزن
ولا خلا منك قلبي ، لا ولا جسدي
كلي بكلك مشغول ومرتهن

فما سمعت مثل ما سمعته منهما قط ، وأعلم أني لا أسمع مثله أبدا ٠

وانتشرت جواري هؤلاء الثلاثة (عليه واخويها) تنشد من شعر عليه وتلحين الثلاثة في القصور والمجالس أمثال :

---

(١) كتاب الهلال العدد (٣) هرون الرشيد للدكتور احمد امين صفحة (٨٤-٨٥) ٠

(٢) راجع مقال الدكتورة بنت الشاطىء مجلة العربي العدد الخامس ٠

(٣) المرجع السابق ٠

(١) المرجع السابق ٠

بني الحب على الجور فلو
أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في حكم الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج
لا تعيبن من محب ذلة
ذلة العاشق مفتاح الفرج

وسكت الرشيد مكرها أو معجبا ، فلعليه مكانة كبيرة لديه ، ثم كيف لا يسكت وعليه تبدع فتحسن الابداع ، وتغني فتملك بصوتها الشجون ، وتلحن فيخترق اللحن الاسماع الى القلوب ؟ • ذهب الرشيد مرة الى الرقة ليصطاف هناك ، واشتاق لعلية فأرسل في طلبها فجاءته ، فاستبقاها معه طويلا ثم اشتاقت وحنت لبغداد فغنته :

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه
وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضهم
تنشق يستشفى برائحة الركب

فعلم أنها اشتاقت الى العراق ، وأذن لها بالعودة •

وبموت الرشيد أغلقت فمها لا تريد قول الشعر ، حزينة عليه ، وما لبثت أن لحقت به بعد فترة وجيزة ، والصراع مشتد بين ولدي أخيها الامين والمأمون على الخلافة وهي في الخمسين من عمرها •

وفي الطرف الآخر من الوطن العربي حيث الفردوس المفقود (الاندلس) نبتت زهرة في بيت الخليفة (المستكفي) المتوفي عام ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م ، هذه الزهرة اسمها (ولاده) فكانت درة في تاج أبيها ومملكته ، تدل أوصاف ابن زيدون لها على أنها كانت بيضاء البشرة ، ذات شعر أشقر • عني بها أبوها ، فأحضر لها المعلمين والمثقفين ، فلم تلبث أن استيقظت مواهبها ، فتفتحت زهرة عطره فاح منها أريج الشعر والفن • وما أن توفي أبوها حتى أصبح بيتها قبلة الادباء والشعراء • يقول ابن بسام(١) :

(•• وكان مجلسها بقرطبه منتدى لاحرار المصر ، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر ، يعشو أهل الادب الى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ••) • ويتم ابن بسام وصفه لها :

(•• على أنها – سمح الله لها وتغمد زللها – أطرحت التحصيل ، وأوجدت الى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها ، كتبت – زعموا – على أحد عاتقي ثوبها :

(١) الذخيرة – المجلد الاول •

أنا والله أصلح للمعالي
وأمشي مشيتي وأتيه تيها

وعلى الآخر :

وأمكن عاشقي من صحن خدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها) •

وطبيعي أن يكون ابن زيدون الشاعر الرقيق ، والاديب المفكر ، والوزير المحنك ، أحد من جذبتهم ولادة الى فلكها ، فجعلته بحتري المغرب • وقد وصف هو أول لقاء لهما فقال : (لما قدر اللقاء ، وساعد القضاء ، كتبت الي :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي
فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا
وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقد كالقضيب ، وردف كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل ، فملنا الى روض مدبج ، وظل سجسج ، وقد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودر الطل منثور ، وجيب الراح مزرور ، فلما شببنا نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كل منا بحبه ، وشكا أليم ما بقلبه ••)(١) • ثم حدث أن ألم بصاحبها ما جعله يفارقها الى حين ، فكتبت اليه :

ألاهل لنا من بعد هذا التفرق
سبيل فيشكو كل صعب بما لقي
وقد كنت أوقات التزاور في الشتا
أبيت على حجر من الشوق محرق

ثم حدثت بينهما جفوة ، ذكر ابن بسام (٢) أن ابن زيدون أشار الى مغنيتها أن تعيد صوتا غنته ، فغضبت ولادة (وما أسرع غضبها) اذ ظنت أنه يغازلها من دونها ، وسرعان ما أنشدت :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا
لم تهو جاريتي ولم تتخير
وتركت غصنا مثمرا بجماله
وجنحت للقطف الذي لم يثمر
ولقد علمت بأنني بدر السما
لكن دهيت لشقوتي بالمشتري

ثم يسوق صاحب النفح (٣) سببا ثانيا للقطيعة

(١) راجع ابن زيدون (من نوابع الفكر العربي) للدكتور شوقي ضيف • وفصل (حبه لولادة) •
(٢) الذخيرة •
(٣) النفح •

اغنية حب صغيرة

شعر : عبد الكريم الدندي

خبأت في قلبي الصغير الحب عن عينيك
وركضت .. أحمل زهرة الوجد النبيل اليك
فسرقت صمتي - مسرح الاحلام - من شفتيك
وطفقت أمثل قسوة الورد العقيق عليك
فتلملمين نضارة الحب الوليد
وتوسمين العطر - موسم صحونا - في ناظريك
كم كنت أحلم أن أبث لك الغرام
أنشودة جذلى على وتر جديد
ليجود فيها الشعر عصفوري يزقزق بالهيام

* * *

عامان لي
وأنا أكابد سورة الشوق الدفين
وأطيل من صمتي الضيع ولا أبين
رابح في همسي .. يسامرني الخيال ستعرفين
بينا أقول لقلبي الشادي السعيد
كن في الوجود حكاية .. لا تنتهي عبر السنين
موجات عطر للربيع اذا أتى من دون ماء
لا تغضبي ..
أفديك ياحبي الكبير وماء قلبي
يكفي فؤادي منك مورات التشوق والتمني
عامان لي ..
وأنا أكابد سورة الشوق الدفين
وأنا أجاهد كي أمد لك الحنين

السلمية — عبد الكريم الدندي

وهو أن ابن زيدون نقد بيتا لها قالته فيه وهو :

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا
بكل سكوب هاطل الوبل مغدق

وانصرفت (ولادة) بعد ذلك عن عاشقها الشاعر الناقد الذي جعلته يبدع أيما ابداع ويقول فيها الشعر الخالد الذي طغى على ديوانه الشعري ، فهو لم يملأ غرورها الفني ، وقد اعتدى على سلطانها الادبي ، انصرفت عنه بقسوة متجنية عليه تاركة اياه في سجنين ، سجن القلب ، وسجن القصر . ولم تنتظر طويلا لتجد عاشقا جديدا ، فقد كان العشاق لديها كثيرين ، ولكنها لم تختر هذه المرة شاعرا عاطفيا كبيرا ، بل وزيرا خطيرا هو أبو عامر بن عبدوس . روى ابن بسام (٤) هذا التحول اليه فقال انها :

(.. مرت به وأمام داره بركة دائمة تتولد عن كثرة الامطار ، وربما استمدت بشيء مما هنالك من الاقذار ، وقد نشر أبو عامر كميه ، ونظر في عطفيه ، وحشر أعوانه اليه ، فقالت له : أبا عامر :

أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا ، فكلاكما بحر

فتركته لا يحير حرفا ، ولا يرد طرفا) وسرعان ما تبعها وتبادلا من ثم الغرام . خلفت (ولادة ابنة المستكفي) ديوانا من الشعر مطبوعا ، يحتوي على طائفة كبيرة من القصائد توضح معالم هذه الاميرة الشاعرة التي أضرمت حربا في قلوب محبيها فشغلتهم عن نفسها بعد أن سقتهم من النبع العذب رشفة .

وفيما وراء القصور الشاهقة ، والجدران السميكة شعر جميل لاميرات في مختلف العصور ، لم يستطع أن يتجاوز الجدران فمات على الشفاه ساعة ولد ، أو قتلته سيوف المغيرين المتوحشين وهو في مكتبات القصور الملكية راقد غافل . وكأنما أراد الله أن يبقيه نسيا منسيا .

حلب — عامر الخطيب

(٤) المصدر السابق (الذخيرة) .

الفراغ .. وسر المهنة !.

بقلم : ناشد سعيد

٠٠ ارتميت على الكرسي أمام المنضدة المريحة الحمراء في مقهى « الهافانا » ، وقد بلغ بي الاعياء أشده ، والشعور بالعدم والانسحاق أقصاه ، بعد عمل مضن طوال عشر ساعات في دار الجريدة التي أعمل فيها ٠

٠٠ جلست أنفث دخان لفافتي بأهمال باد علي ، وأنا أطيل النظر عبر الزجاج الى المارة الذين يقطعون الطريق جيئة وذهوبا باستمرار ، وقد اختلف تسارع أقدامهم ، تبعا لاختلاف مقاصدهم ٠

٠٠ أحسست برأس اللفافة المشتعل يلسع طرف اصبعي ، وكنت قد تشاغلت عنها قليلا ٠ وضعتها بين شفتي بحذر وسحبت منها نفسا طويلا ، ثم دعكتها بانزعاج في المنفضة الصغيرة التي تحمل ذكرى يوم الجلاء ؟ ٠

٠٠ يوم الجلاء ؟ ٠٠ انه يوم مجيد يجدر التفكير به قليلا ٠ ولكن ذكراه أصبحت باهتة ، وخصوصا في خلد انسان مثلي ، لم يع الايام التي سبقته ؟ ٠ ولهذا ، فلن يستطيع أن يملأ ولو حيزا ضيقا من الفراغ الرهيب الذي يلفني من كل جانب ٠ وتطلعت بفضول الى الوجوه الشاحبة التي التفت حول الموائد المربعة الحمراء ، تقتل الوقت بصورة تدل على القرف من الحياة ٠ وكان صوت الخادم يتعالى ما بين الفينة والفينة ، بنفس الترديدات التي وعيتها منذ أكثر من عشر سنين ؟ ٠

ـ واحد حلوه ٠٠ اثنين شاي ٠٠ واحد تمر هندي ؟ ٠٠

وكان قد بلغني ، فتقدم مني وسألني بلطف :

ـ شو أمرت يا أستاذ ؟ ٠

٠٠ ولم أكن حتى ذلك الوقت قد فكرت بما سأشربه ، بل ان نفسي لم تكن تشتهي شيئا بالمرة ٠ وسألته بدوري متيحا لنفسي فرصة تفكر فيها قليلا :

ـ شو عندك ؟ ٠

وأخذ يردد على مسامعي ما أنا أعرفه جيدا :

ـ شاي ، قهوة ، كازوز ، تمر هندي ، ليمون؟٠٠

٠٠ وتحيرت ، ماذا أشرب ؟ ٠ انه لسأم هذا الذي يستولي علي كلما جلست في المقهى ، وسئلت ماذا أشرب ؟ ٠ ألا يمكن للمرء أن يجلس ولو مرة واحدة ، دون أن يشرب شيئا ؟ ٠

وطال انتظار الخادم لي ، فقلت له غير مبال ، وأنا أحاول أن أزيح كابوسه من فوق رأسي :

ـ أي شيء ٠٠ ائتني بأي مشروب تريد ٠

٠٠ ونظر الي ببلاهة مستطلعا وجه هذا الزبون الغريب ؟ ٠ وما أشك في أنه قد ظنني معتوها ٠ ثم لوى شفتيه باستغراب ، وانصرف وهو يتمتم ما بينه وبين نفسه بكلمات خافتة :

ـ أمرك ٠٠ أي شيء ؟؟ ٠ انك انسان غريب ٠٠ أي شيء ؟؟ ٠

* * *

٠٠ تحسست جيب سترتي ، فاذا بورقة ومغلف يستقران فيه ، وتذكرت للتو أنني انما جئت الى هذا المقهى ، لاجلس وأكتب رسالة الى صديقي ممدوح ٠ فأخرجت الورقة من جيبي ، ونشرتها على المنضدة ، ورحت أسطر فيها وقد أشعلت لفافة ثانية علها تهدىء من اضطرابي وقلقي :

عزيزي ممدوح ٠٠ سلاما ٠٠

أكتب اليك الآن من مقهى الهافانا ؟ ٠٠ من المقهى الذي طالما ضمنا بين جدرانه القليلة الاتساع ، والذي طالما ضيع همساتنا في خضم صخبه ٠ وكم أتمنى لو أنك الآن بقربي ، تصرخ في مكعبات الزهر بصوتك الحلو :

ـ هات شيش بيش ولك ٠٠ يا ابن الكلب ؟ ٠٠

أجل ، اني أتمنى هذا ٠٠ فهو على الاقل يريحني من العناء الذي أنا فيه ، وينتشلني قليلا من الفراغ المحيط بي ؟ ٠

٠٠ ممدوح ، أيها العزيز ٠ اني أحس بالوحدة تكاد تقتلني ، وبالفراغ يكاد يحطم أنفاسي ، واني لمرهق من العمل لدرجة مريعة ، وأنا منذ أكثر من شهر أحاول جاهدا أن أحصل ولو على اجازة يوم واحد ، أسافر فيه الى حمص ، لزيارة أهلي ، وأروح فيه عن نفسي قليلا معك ٠ ولكن صاحب الجريدة الاحمق ، يقول لي مازحا :

ـ اجازة ؟ ٠٠ اجازة ياعدو الانسانية ؟ ٠ حرام عليك تتركنا لوحدنا وترمي بعملك فوق كاهلنا المرهق٠

٠٠ لست أريد أن أنقل اليك متاعبي هذه ، ولكنها فرصة سانحة ، اغتنمتها ، لارمي عن نفسي بعض ما

يرهقها ، واعذرني اذا ما أزعجك ذلك ٠

٠٠ سأكتب اليك الآن موضوعا غريبا شيئا ما ؟ ٠ قد يروق لك ويروح عنك ، فاستمع الي :

٠٠ جاءني خادم المقهى القصير السمين الذي تعرفه، وسألني عما أريد شربه ؟ ٠ وتحيرت ؟ ٠ فاني في حالة من الارهاق لا تسمح لي بأن أفكر حتى بما سأشربه ؟ ٠ وسألت نفسي ٠٠ ماذا أشرب ياترى ؟ ٠٠ فلم تشته شيئا ٠ وقلت له لاصرفه عن رأسي الذي خيم فوقه ، وكأنه القضاء والقدر :

ــ أي شيء ٠٠ ائتني بأي مشروب تريد ؟ ٠

ونظر الي دهشا ، وما أشك في أنه قد ظنني معتوها ؟ ٠ ثم انصرف يتمتم بكلمات يهزأ بها مني ؟ ٠

٠٠ تصور ذلك ؟ ٠٠ هل حدث لك شيئا مثله يوما ما ؟ ٠ اني مستغرب الآن من نفسي ؟ ٠ كيف لم أختر صنفا من المشروب يأتيني به ، وتركته يتحكم بمصيري ، ويسقيني ما يريد ؟ ٠

٠٠ تصور ذلك !٠٠ هل حدث لك شيء مثله يأتيني هذا الاحمق ، بشيء كالتمر الهندي مثلا ؟ ٠ هذا المشروب الذي ما استطعت هضمه بشكل من الاشكال ؟٠ وان نفسي لتتقزز من مجرد تخيله ، بلونه الباهت الكريه ؟ ٠

لو أن الله يلهمه أن لا يأتيني به ، وبعد ذلك ، فاني مستعد لان أشرب أي شيء ؟ ٠

٠٠ فكر معي ياممدوح ٠٠ بماذا سيأتيني ياترى؟٠ ان ذلك يبدو مضحكا حقا ؟ ٠ ولكنه يسرني ؟ ٠ فهو على الاقل يجعلني في حالة ترقب لشيء جديد ؟ ٠ بل اني بدأت أستشعر بعض الراحة والسرور ، لمجرد أني أحدس بما عساه يأتيني به ؟ ٠

٠٠ قهوة مثلا ؟ ٠٠ ياللسخف ان جاءني بها ؟ ٠٠ لقد شربت وأنا في الجريدة أكثر من خمسة فناجين ، واني لقرف منها ؟ ٠ أو لعله يأتيني بكازوز ؟ ٠ وهنا المصيبة أيضا ؟ ٠ ان معدتي خاوية من الطعام منذ مساء البارحة ؟ ٠ ولم أجد في نفسي الشهية لان أتناول أي شيء ؟ ٠ تصور حالتي عندما أملأ بطني بما يقرقع فيه ، وينفخه بالغازات ٠٠ اني أكاد أتخيل الآن ٠٠ الضحكة العريضة التي لا بد وأن تكون قد ارتسمت على شفتيك وأنت تقرأ هذه الرسالة ٠ اضحك ، اضحك ما شئت ٠٠ فأنا نفسي امتلأت انشراحا ؟ ٠ فانه موضوع لذيذ هذا الذي أكتب لك عنه ؟ ٠

٠٠ لقد طالت غيبة الخادم الاحمق ٠٠ لو أنه يسرع قليلا ، ويريحني من عناء الانتظار ، والتفكير والتخيل والتمني ؟ ٠

٠٠ لو أنه يأتيني بكوب من الشاي ؟ ٠ فسيكون رائعا بلا شك ٠

٠٠ لست أدري سر هذا التشوق المفاجىء لكأس من الشاي العنبري اللون ؟ ٠ انها عادتي عندما أكون منشرح النفس ؟ ٠ ولم أكن كذلك منذ وقت قريب ؟ ٠ ياليتني طلبت منه ذلك ؟ ٠

ولـكن قلبي يحدثني ياممدوح بأنـه سيأتيني بالشاي ؟ ٠ خصوصا وأن هناك على مقربة مني من يرشف الشاي بلذة ؟ ٠ أترى ذلك لاني أريده ؟ ٠ كما يفسره علماء النفس ؟٠ أهي الحاسة السادسة ؟ ٠ وكيفما كان الحال ، فاني أتمنى لو يأتيني به ؟ ٠

٠٠ ياللكارثة ؟ ٠٠ اني أراه مقبلا من بعيد وهو يحمل كوبا من التمر الهندي المقرف ؟ ٠ واني لاحس بضربات قلبي تتسارع ، فليذهب للجحيم ان أتاني به ؟ ٠ واني لاقسم بأني سألقيه في وجهه ان قدمه لي وسأصرخ به :

ــ ألم تجد غير التمر الهندي اللعين ٠٠ يا أحمق خادم في الوجود ؟ ٠

٠٠ ياللمسكين ٠٠ لقد تجنيت عليه ؟ ٠ ان التمر الهندي ليس لي ، بل لشيخ ملتح يجلس في الزاوية الشمالية ، يبصبص الى المارات بعناد ووقاحة ؟ ٠

٠٠ عفوا أيها الخادم الذكي عفوا ؟ ٠ سامحني ٠٠ لقد أسأت فيك الظن ، فأنت ملهم بلا شك ؟ ٠ ولذلك فاني أرجوك أن تأتيني بكوب من الشاي ؟ ٠

٠٠ اسمع ياممدوح ٠٠ لو أن هذا الخادم كان ذكيا حقا ٠٠ وجاءني بكأس من الشاي ، فلسوف أعطيه بقشيشا على غير عادتي ، تكريما لنبوغه وسبره لاغوار نفسي ؟ ٠

انتظر ٠٠ ها هو الآن يحمل صينية صغيرة لا أكاد أتبين ما عليها عن بعد ، وها هو يقترب قليلا قليلا٠ يا للمفاجأة انه يأتي نحوي ؟ ٠ الي ٠٠ وياللروعة ٠٠ كوب من الشاي ؟ ٠ أجل كأس رائع من الشاي ؟ ٠

ــ تفضل يا استاذ ٠٠ شاي ٠٠ هل يعجبك ؟ ٠

ــ يعجبني جدا ٠٠ انك رائع ٠٠ أنت مذهل ٠٠ أنت عبقري ٠٠ قل لي كيف عرفت أني أحب الشاي ؟٠ وتطلع الي مزهوا وقال وقد ارتسمت ضحكة عريضة على شدقيه :

ــ هذا سر المهنة يا استاذ ؟ ٠

٠٠ أى وربي ٠٠ ان لهذه المهنة سرا ، سرا رائعا ٠٠ وانت لتستحق من أجل ذلك هذه الليرة ، فخذها ؟ ٠

٠٠ ورفض أن يأخذها في البدء ؟ يا لحمقك ، انها تقدير متواضع لفنك وعبقريتك ــ يمينا بالشيطان الا أخذتها ٠ وتناولها بارتباك آخر الامر ، وذهب وهو ما زال يرمقني بنظرته الماكرة ، أتراه يعتقد حقا بأني معتوه ؟ ٠

٠٠ ممدوح ٠٠ أليست رائعة هذه المصادفة ؟ ٠ انظر ٠ كم من مرة أنكرت لي وجود الصدفة في الحياة، وأخذت تتفلسف وتقول لي ، ان العلماء لا يعترفون بشيء اسمه الصدفة ؟ ٠ ماذا تستطيع أن تسمي هذا ؟٠ أهناك اسم غير الصدفة والصدف ٠٠ والمصادفات ؟ ٠٠

أنا تمنيت أن يأتيني بالشاي ٠٠ ثم واذا به يحمل الكوب وهو مليء ــ وحقك ــ بالشاي ٠ أبعد هذه الصدفة الحلوة ؟ ٠ فلتذهب أنت وفلسفتك الى الجحيم ٠ وسأبقى أعتقد أنا أن هناك صدفة في الحياة ٠٠ بل ان الحياة كلها ، ما هي الا مصادفات متفارقة ٠٠ مثل هذه !٠٠ سأرشف الآن رشفة منه ٠٠

٠٠ ياللروعة ؟ ٠٠ قد لا تصدقني لو أني قلت أني ما ذقت في حياتي شايا أروع من هذا ٠٠٠ ان نكهته غريبة ٠٠ ورشفة أخرى منه ، ستنعش نفسي بلا شك وتجلو كل ما عليها من صدأ الاحزان ٠٠

اني جد مسرور الآن ياممدوح ٠٠ لدرجة أني أستطيع أن أطير اليك ، وألعب معك الطاولة ، دون أن أدعك تأكل حجرا واحدا ؟ ٠ مهما صرخت بالشيش والبيش ؟ ٠

٠٠ أتراني أسهبت في الكلام ؟ ٠ ولكني ما أظنك متضايقا ؟ ٠ فالموضوع مضحك بلا شك ، ولقد أدخل السرور الى نفسي ، ولعله يفعل ذلك معك ٠

٠٠ والآن أستودعك الاله ، واني لمنتظر منك في القريب العاجل ، رسالة تعلق فيها على هذا الذي كتبته اليك ، وأن تقول لي ما هي وجهة نظرك في ذلك ؟ ٠ والى اللقاء ٠

★ ★ ★

٠٠ وطويت الورقة وأودعتها المظروف ، ثم أخرجت لفافة ثالثة رحت أعب منها بشراهة ، وأنا أرشف الشاي بلذة فائقة ٠

٠٠ ما لهذا الحقير الجالس قبالتي ، والذي كان يرشف الشاي منذ قليل ، يرمقني بهذه العين الوقحة ، منذ جاءني الخادم بكوب الشاي ؟٠٠ وكلما رشفت منه رشفة ، لكز زميله بمرفقه ، وتبادل معه ضحكة قصيرة؟٠

٠٠ ألست مخطئا ياترى في تخيلاتي هذه ؟ ٠٠ أليس جائزا أن يكون هناك ما يستدعي ضحكة ؟ ٠

ولكن لا ، اني الاحظ جيدا أنه انما يضحك مني ، ولسوف أقوم وأحطم رأسه بهذا الكرسي ، وليكن ما يكون ، فاني لا أطيق أن يضحك مني انسان بهذا الشكل ٠

٠٠ أين هذا الخادم الآن لاسأله عن سبب ضحكه، فلعله يعرف ذلك بسبب من سر مهنته ؟ ٠ ويريحني من ورطة قد أقع فيها ؟ ٠ لقد اختفى من بين المناضد ولم يعد له أي أثر ، يبدو أنه لا بد من الاشتباك مع هذا الوقح في معركة ، قد لا أخرج منها سالما ؟ ٠

انه يتحرك نحوي ؟ ٠ ماذا هناك ياترى ؟ ٠ يا للشيطان ، ألن أنتهي منه ؟ ٠

ــ مرحبا ؟ ٠ وتطلعت اليه قائلا دونما حماس :

ــ أهلا ؟ ٠ نعم ؟ ٠

ــ هل تسمح لي بالجلوس قليلا ؟ ٠

ــ تفضل ، أهلا وسهلا ؟ ٠

ــ شكرا ، ومعذرة ان كنت قد تطفلت عليك ؟ ٠

ــ لا أبدا ، ولكني لاحظت أنك كنت تطيل الي النظر ، ثم تضحك ، فهل ثمة شيء هناك ؟ ٠

ــ أجل ، هناك أمر مهم ؟ ٠ ولكني أرجو المعذرة ان كنت في حديثي وقحا بعض الشيء ؟ ٠

٠٠ واستغربت ذلك منه ، ماذا هناك ياترى ؟ ٠ على كل اني أريد أن أعرف ٠ وقلت له :

ــ قلت افصح ، ماذا تريد أن تقول ؟ ٠ وسألني:

ــ هل أعجبك هذا الشاي ؟ ٠

ــ جدا ، ولو أخبرتك بقصة هذا الكوب ، وكم يلذ لي شربه ، لما صدقتني ؟ ٠

ــ تفضل تكلم ، فاني انما أتيت لاحدثك عنه ؟ ٠

تحدثني عنه ؟ ٠ آه ٠٠ ان الحديث عنه يلذ لي ؟٠ ولقد كتبت منذ قليل رسالة مطولة عنه ؟ ٠ بماذا ستحدثني ؟ ٠

ــ تفضل أنت أولا ، فقد أغير رأيي ٠ ما هي هذه القصة التي قد لا أصدقها ؟ ٠

ــ سألني الخادم منذ قليل ، ماذا تريد أن تشرب؟٠وتحيرت ، وقلت له هات أي شيء ، وسأشربه٠

وبعد ذلك رحت أحدس ما بيني وبين نفسي ، ترى ٠٠ بماذا سيأتيني هذا الخادم العبقري ؟ ٠ اني أكره التمر هندي بشكل غريب ، والقهوة شربت منها أقداحا كثيرة ، والكازوز ؟ ٠ ان معدتي خاوية ولا أقوى عليه ٠ وتمنيت فيما بيني وبين نفسي ، أن يأتيني بكوب من الشاي ، فهو أنسب ما يروق لي الآن ٠ واذا به ، وبروعته ٠٠ يأتيني بالشاي ؟ ٠ ولهذا فاني أراه لذيذا جدا ٠ ورشفت من الكوب رشفة أخرى وأضفت :

ــ ان هذا الخادم عبقري حقا ؟ ٠ تصور أنه عرف كيف يقرأ أفكاري ، ويأتيني بما أريد ، دون أن أطلب منه ذلك ؟ ٠ انه سر المهنة حقا ، كما قال لي ٠ أليس كذلك ؟ ٠

وأطلق ضحكة كبيرة وهو يسرق نظرة الى زميله الذي كان يجلس بجانبه ، ثم قال لي وضحكة الشماتة بادية في عينيه :

ــ لا يا أستاذ ؟ ٠٠ ليس هو سر المهنة ؟ ٠ ولا عبقرية الخادم التي أتتك بكوب الشاي ، وانما هي ذبابة ؟ ٠ أجل ٠٠ ذبابة كانت طافية على وجهه لما أتاني به ، فرفضته ؟ ٠ ثم واذا به يأتي اليك ؟ ٠

ناشد سعيد
جامعة دمشق ــ كلية الحقوق

الصخرة البيضاء

(جائزة القصة القصيرة)

تعريب : محمد الخطيب

★ مؤلف « الصخرة البيضاء » كاتب وأديب من أشهر من مارسوا الادب في يوغوسلافيا ، ومن حملة أقلامها العظام الذين أوقفوا حياتهم على خدمة وطنهم وانسانيتهم .

ولد « جيكوسلاف كاليب » في مدينة تيجينو ـ بمقاطعة سابينيك ـ عام ١٩٠٥ ، وترعرع في أحضان عامة الناس ؛ تلك الطبقة التي تفيض وقارا وانسانية ، طبقة صغار الناس التي يتخزن في قلوبها الحب الكبير على الدوام ـ وهي الطبقة التي كان « كاليب » يستوحي منها انفعالات انسانيته المثالية .

بالاضافة لمؤلفيه اللذين صدرا قبل الحرب العالمية الثانية « فوق الصخور » و « خارج الاشياء » نشر « كاليب » قصتين آخريين بعد الحرب مباشرة وهما :

« الغرقه » و « أحاديث اليوم » . وهو أيضا مؤلف « الشوارع الذليلة » و « نفيس في التراب » و « الصخرة البيضاء » . وقد اكتسب من انخراطه في صفوف جبهة التحرير الوطني أثناء الحرب ، اكتسب خبرة قيمة والهاما غزيرا جعلاه يقف شامخا في تأدية فروضه النضالية على أكمل وجه أبان الحرب وبعدها .

ومع أن جيكوسلاف كاليب ما يزال يعتبر من عمالقة القصة اليوغوسلافية القصيرة فانه في « نفيس في التراب » و « الصخرة البيضاء » قد دخل مرحلة التفوق من النضوج القصصي .

★ قصة « الصخرة البيضاء » حائزة على جائزة الاداب لعام ١٩٥٤ ، من زغرب ، وهي جائزة جمعية الكتاب اليوغوسلافيين .

كان سفح الجبل شديد الانحدار ، لكنه لم يكن صخريا اذ ثمة طبقة ترابية كانت تغطي صخوره .. وكان يكسو الطبقة الترابية بساط كثيف من العشب ، به سندسية أخاذة واتقان في الطلعة كأنما نسقت الطبيعة نبته بعناية فائقة .

وهناك على بعد لا بأس به باتجاه القمة وعلى الجانب الشمالي منها نبتت أشجار السنديان والدردار .. كانت رؤية الصخور نادرة ، باستثناء أعال رمادية ملساء كانت تظهر هنا وهناك .. رماديتها غامقة كأنما الصخر قد غطي بقشرة شجر سميكة .

كانت هناك صخرة فريدة في لونها ونوعها ، تختلف عن صخور التلال الجرداء بل تختلف عن كل الصخور في أي مكان ـ تلك الصخرة التي عرفها « سترانا » جيدا وصار يفكر بها دائما .

وفكر « سترانا » طويلا ..

ان أول شيء سوف يعمله حالما يبزغ النهار هو ذهابه الى أحد كرومه الثلاثة .. يربط الصغير من كرماتها الى عصيها ، ويرش نباتها بسلفات النحاس ـ أو بالسلفور فقط ، حسبما يراه مناسبا . أو ، فيما يتعلق بكرمه الجديد بالقرب من الصخرة الرمادية ، فانه سيزيل وعورة أرضها بوصة بوصة .. يحفر الارض بمعوله ويكسر الحجارة بمطرقته ، أما الصخور الكبيرة فسوف يستعين بالاسفين عند اقتلاعها من جذورها .. وهكذا يعمل في تمهيد أرضها حتى الساعة

التاسعة من صبيحة كل يوم . ويظل دائما يفكر « بالصخرة البيضاء » .. وعند الساعة التاسعة - أو حتى قبلها - سوف يجهز كل أدواته ، الاسفين والمعول والكيس وبداخله الازميل والمطرقة الصغيرة الثقيلة ؛ كل هذه الادوات ستكون جاهزة.. يضعها على ظهر حماره الصغير ويذهب بتؤدة الى غابة السنديان .

* * *

تسارعت قرعات قلبه عندما بلغ ذلك المكان في القسم السفلي من الغابة - المكان الذي تلاشت منه أشجار السنديان - وهي القطعة التي دأب على العمل فيها منذ الخريف الماضي .

حفر نطاقا حول صخرة كبيرة ، ثم نسف بالديناميت قطعة شديدة الصلابة من الصخور المتكومة فوق بعضها على هذا التل ، كما تتكوم الارغفة الكثيرة في الفرن .. كان حجم هذه القطعة الصخرية يزيد على المتر المكعب الواحد - حجرا نظيفا صافيا - جانبها المعرض للهواء رمادي اللون ، أما بقيتها فكانت بيضاء كبياض جوف الفطره تتخلله سطور حمراء .. وكان جانبها المقطوع من بقية الصخرة ساخنا شاحب الصفرة.. كانت تتراءى ل « سترانا » كلما اقترب منها وكأنها حبة فاكهة ضخمة أنمتها الارض بطيبها وغذتها الشمس بأشعتها ، وأنعشها النسيم العليل بلمساته .

كان « سترانا » في كل مرة يذهب فيها الى هناك يسير حول هذه الصخرة الدائرية متعجبا من كيفية تكوينها بهذا الثقل وهذا الحجم - اذ لم تكن كبيرة كثيرا ولا صغيرة كثيرا - انه يستغرب وجودها هكذا بحجمها المعقول ووزنها الثقيل ، كما لو كانت شيئا من الحكمة خلق بطريقة فريدة .. تراءت له كأنها رغبات جمة وحكمة هائلة قد لفت في هذا الخلق الرمادي القديم ؛ زحزحت بالرغم عنها من سباتها المظلم العميق وأخرجت الى الحياة بالقوة .. وشعر « سترانا » نحو هذا الحجر بنفس الشعور والالتزامات التي يشعر بها الوالد عادة نحو ولده .

وتملك « سترانا » مزيج من مشاعر السرور والوجل وهو يضع يده فوق الحجر .. ومر بيده على جانبه الداخلي . انه خشن تنأت فيه حبيبات صلبة مكتنزة .. ان سطح هذه الصخرة الصماء مليء بالمفاجآت بالنسبة ل « سترانا » الذي سيعمل ازميله فيها فيفكك النتوءات ويزيل الحبيبات عن الوجه الناصع البياض الذي يرسمه للحجر في مخيلته .. هذا الوجه يظهر له وكأنه وجه امرأة عفية جميلة تختال بقدها المكتنز أمامه وصوتها الملائكي الرفيع ينساب لطيفا الى أذنيه ..

وراح الازميل يعمل في مواضع متعددة ورنين السعادة ينبعث من لمسات شفرته الحادة للحبيبات الناتئة . أما « سترانا » فراح يتوقع ضجيج ضحكة فرحة تنفجر حوله .. ومع توقعه هذا كان يعي أن للحجر بيئته وحياته الخاصتين ، بيئة وحياة يعرفهما « سترانا » جيدا . لهذا أخذ مطرقته وضرب بها على قطع نافرة تلتصق بالحجر ، وقطعها منه .. ورسم في ذاكرته تربيعة الحجر التي يمكنه تكوينها ، ثم تناول ازميله الحاد ثانية وتناول المطرقة الصغيرة التي في كيسه وجعل يسوي التربيعة كما تخيلها .. كانت تتناثر ، في كل ضربة من مطرقته على الازميل ، قطعا في أحجام قشور البيض المحطمة ، وظهرت من تحتها أشكال مبتورة تتلألأ كأنها معالق صغيرة أحدثها الازميل بمروره على سطح الصخرة .. واعتقد « سترانا » مغتبطا أن الحجر الذي يريد قد تكون من هذه الصخرة التي لم تكن لتتكسر بسهولة والتي ما فتئت تتلألأ كالرخام ، خاصة بعد قطعها .

ورغم تجمهر الافكار المختلفة عليه اختار بكامل ارادته أن يسير في طريقه هذا مسرورا ، دون وهن - متجردا باذلا كل كيانه من أجله .

واستمر الازميل .. « طق .. طق .. طق.. طق .. » في التهام النتوءات وصارت الحبيبات تتلاشى تدريجيا من على السطح لتكشف من تحتها عن الوجه الحقيقي للحجر . ومع عمل الازميل ، أشاح « سترانا » ناظريه ، وشعر أنه غدا مقيدا بصورة تلقائية بهذه الحصاة وهذا العمل .. وأغمض عينيه على الرؤيا المتجسمة في ذهنه ، على الشكل المرسوم في ذاكرته والذي سيمنحه الحياة في يوم ما .. أغلق كلتا عينيه على حلمه هذا مخافة أن يفلت منه وتضيع آماله فيه اذا ما أطلق العنان لعاطفته في سرعة الاختيار .. بهذا الحجر فقط تكمن أفكاره الحاضرة ، وبهذا الحجر توجد الرمال التي يمكنه أن يواري رأسه فيها ..

وهبت الريح أكثر فأكثر فمحت دفء الشمس من حوله

وصارت تعبث بقميصه وتكرمشه على ضلوعه ، وجعلته يرتجف بفعل لمساتها الباردة لجسده •• انه الآن يشعر بوحشة أكثر ، ان ثمة أرق يمضغ نفسه •• فهو يؤمن أنه لا يستطيع عبور ذلك الحد ، أو تجاوز حدود تلك التلال وتربيعة هذا الحجر •• انه يشعر أنه مجبر في وضعه هذا بصورة مبرمة ، وهذا ما يجلب عليه الحزن والشؤم ••

وتأوه « سترانا » من أعماقه ••

ـ اوه •• لقد جلبت لي الريح أحزانا كثيرة •

كم كان والده محوطا بكروم عنبـه وبراميل النبيذ ، وبالابقار والتين وحقول الحنطة ؟! انه دائما يفكر في العثور على جواب لهذا السؤال • كم كانت حياته حذرة ؟ وكيف استطاع أن يستخلص من عيشه الشاق ذلك حياة مناسبة تكفل تحصينه ضد الجوع ـ فيما لو داهمت المجاعة بلده ـ وضد الحرب ، وحتى ضد الهزات الارضية !•• لقد بنى بيته كالقلعة الحصينة لمقاومة تلك الهزات • ولكن والده كان لا يعرف الطمأنينة ولا الراحة في حياته •• لم يعرف ما هو السرور •• لقد وضع ابنه تحت نظام المعول الشاق مذ تفتحت عيناه على الحياة ـ معتقدا أنه السبيل الوحيد للكسب ـ لم يعطه قط وقتا للراحة •• لم يسمح له بالذهاب الى المدرسة ، بل كان يمزق كل ورقة أو مخطوطة يراه يلهو بها •• ولم يدعه يمارس أي لون من ألوان الفرح أو حتى التسلية والرياضة • أما « سترانا » فكان على عكس والده •• أرسل كلا ولديه الى المدرسة منذ اللحظة التي بلغا فيها سن التعليم ، وسمح لهما بمتابعة تعليمهما ، اذ تخرج كبيرهما وعمل مدرسا ، أما الآخر فما يزال يتعلم •• وقد ذهبا للجيش وأديا فروضهما لوطنهما أثناء الحرب •

وكلما توغل « سترانا » في التفكير بحياته كلما امتلأ قلبه بالمرارة من والده ، من كرومه ومن أرضه •• تلك المرارة جعلته يفكر في أشياء معينة هامة ومفيدة • ان الحياة كلهـا مخلوقة من تلك الاشياء ، وهذا هو ما كان يدفعه للاهتمام بكل ما يتعلق بالطبيعة والاختراعات التكتيكية •• كان متأثرا بما يصنعه أو يخترعه الرجال •• ان أقرب مثال لديه هو تلك الشفرة الحادة التي في الازميل والتي يفكر فيها بكل تموجات عقله ••

وسمع صوت صفير يجوب الفضاء حوله •

وارتعد وهو ينظر الى السماء متلمسا مصدر ذلك الصفير •• انه صقر قذفت به زرقة السماء ليهبط هكذا فيشل هواجس « سترانا » • واستمر صفير أنف الصقر برهة حتى اذا ما عثر على كومة من الهشيم هبط على بعد عشر ياردات منها•• واختفى الطير بين الهشيم لفترة ما لبث بعدها أن صفق جناحيه وطار في الاعالي ، حاملا معه شيئا بمخلبيه •

وهنا شعر « سترانا » أن شيئا قد سلب منه ، كما لو كان واقعا تحت تحد عنيف •• كأن ذلك الصقر أخذ منه شيئا بالقوة أو ارتكب منكرا بحقه • وبكل كراهية وحنق تمنى سترانا لو أنه استطاع قتل ذلك الطير •• لكنه استدار جانبا نحو القرية ، محاولا التخلص من هذا الشعور الغاضب ـ الممزوج بكآبة أفكاره لساعة خلت ••

* * *

كانتا تتسلقان المرتفع ببطء متوجهتان نحوه •• تسيران بين الهشيم والاعشاب الطويلة •

وتتابعت الضربات على الحجر فتنعكس أصواتهـا على السطح وعلى أمواج الفضاء القريب دون أن تنفذ الى أعماق الحجر ، أو دون أن يصدر عن تلك الاعماق شيء من هذه الاصوات •• انها فقط تعكس أنين الازميل على صفحة الحجر وهو يسويه قليلا قليلا ليفصله عن أصله الذي أوجدته فيـه الطبيعة ، ليصير هكذا أداة طيعة في يد الانسان يكونه كيف يشاء • استمرت ضربات الازميل « طق •• طق •• طق •• » وأخذت القشور الرقيقة تنزلق لتدل على أن سطح الحجر قد سوي وأنه غدا ناعما هادئا كسطح بحيرة هادئة ••

ألقى « سترانا » الازميل والمطرقة جانبا وتناول " المقياس » ليفحص به مستوى السطح ، ثم تناول « الزاوية » وفحص بها زوايا الحجر •• وراحت تتشكل في الفراغ حوله أشياء كأنها خيال جديد كاحتمال جبار•• ووضع قدمه اليسرى على الصخرة المكسورة بينما قدمه اليمنى تستريح على الحجر نفسه • وثابر على الضرب ، متجولا في مخيلته مع الزمن والكرة في صدره تتنامى ، كما لو كانت تكافح لتكون الحياة بذاتها •

أشرف عمله على النهاية ، رغم أنه لم يكن من أعماقه

يرغب في بلوغ النهاية .. وكم كانت النهاية المطلوبة بعيدة ؟! لا يعرف .. بل ولا يريد أن يعرف . وربما كانت النهاية محتمة قريبة ، أو بصورة أوضح ربما كانت كما يريدها هو ، كانت الصخرة تتقلص دون أن تلين مغلقة ذاتها على ذاتها ، في عالم بعيد المنال ، تقترب من كيانها .. تخال ذلك الكيان كأنه في خلود لا يمكن الاقتراب منه. انك تستطيع أن تحطمها وتستطيع أن تكسرها الى قطع صغيرة جدا ، ولكن ذلك لم يكن قط ما تريد الوصول اليه . ان الذي تريده هو أن تكشف عنها وأن تغمسها في الحياة . واليد .. اليد الكبيرة الصامتة طالما كدحت بألم لتثبت مبادئها ، تسيطر عليها النظرية المعروفة منذ أن تعرف الانسان بالحجر من أقدم الازمان ، عندما عرف الانسان كيف يستخدمه في حياته البدائية كأداة لحفظ الزيت وحسب .

ها قـد صارتا على حافـة قسم من جانب التل ، علق بملابسهما القش والاتربة .. كانت ناستا تسير خلف كيفيتا ، وعيناها تغمصان بالدهشة وبشيء من الرهبة ، كما هو حالها دائما في خشيتها على طبيعتها ..

لكن « سترانا » لم يتمم بعد الجملة التي يقولها في أعماق نفسه ، وكان تفكيره ـ ما يزال يحلق في مكان ما في البعيد ـ متعلقا تحت سحابة سوداء ومخترقا بواطن الحجر كأنه هدف آخر لم يصل ولم يتكامل بعد . وهناك رآها .. كانت تقف بيضاء متزنة ، تتطلع اليه دون أن تأتي بحركة .. لهذا فانه لم يشعر بهما حالما وصلتاه .. واندفع « سترانا » بنفسه ليقترب منها ، لينفذ الى أعماقها ليحددها في فؤاده ولتصير في متناول يده بحرية .. تماما كما يمتلك حريته . يريد أن يمتطي جناح الريح السحرية ويحلق فوق التلال والحقول ، وفوق الصخور والطرقات ، ويذهب الى قريته ويخطو فوق جسرها العريض بكامل حريته .. يريد أن يحلق فوق البحار على امتدادها أمام ناظريه ويسير في أي مكان يريد دون أن يعترض سبيله أحد ، أو يثنيه عن عزيمته مخلوق .. انه لا يريد أن يلقي التحية على أحد ولا يقبل أن يرهب أحدا ..

وفجأة أخذ « سترانا » يكنس ببصره التلال المحيطة به ، وانتقل منها الى الكروم والطرقات كأنه يبحث عن شخص ما ، وما لبث أن عاد الى سابق وضعه .. مسح وجهه بيده وعاد الى حجره وضربه مرتين أو ثلاثا وقال يتساءل ببساطة ، على طريقة رجل الاعمال :

ـ لماذا كل هذا .. باكرا ؟..

وتطوعت كيفيتا بالاجابة على تساؤله :

ـ لقد صار الوقت ظهرا !..

ونظر « سترانا » الى أعلى باتجاه الشمس قائلا :

ـ بلى .. صارت ظهرا !..

وطرح الازميل والمطرقة جانبا على السطح الممهد من الحجر وفتح كلتا راحتيه وأرخاهما بجانبه وسرح نظره الى الاراضي أمامه .. تعلوه الرغبة في الذهاب الى هناك ، على أنه ـ على ما بدا ـ غير رأيه ، فتناول الاسفين وحشر طرفه تحت قطعة الصخر .

ـ هيا بكما ساعداني !..

ـ أوه .. ليس ذلك ثقيلا يستدعي المساعدة!.. وأردفت « ناستا » تقول :

ـ اننا الاثنتان نستطيع رفعه !..

فتطلعت اليها كيفيتا ساخرة :

ـ أنت تستطيعين ازاحة جبل بكاملـه .. حتى أعمق أعماق البحار لا تصل الى ركبتيك !..

وتقدمتا الى الحجر .. وأخذت الايدي الناعمة تلامس جزءا منه ، بينما راحت يدان أخريان خشنتان تعبثان بالقسم الآخر .

ـ انه خفيف .. في خفة الزبد !

ـ لنبدأ بالخلخلة أولا ..

ومضى « سترانا » يصدر تعليماته وهو يضغط على الاسفين بكل قواه :

ـ لنستمر .. لنستمر ..

وتحرك الحجر فوق الحصى تاركا مكانه الاصلي .

ـ حسنا .. حسنا .. الآن أستطيع العمل في جوانبـه الاربعة ..

وعاد يكرر « حسنا » بخشونـة باسمة ونظر الى أسفل قليلا في عيني « ناستا » تقفز كالعصفورة ، باحثة عن مخبأ !.

ونفض « ستراتا » الغبار عن يديـه ثم مسح راحتيهما القذرتين :

ـ حسنا •• كل شيء على ما يرام •

وقالت كيفيتا :

ـ وهل بالامكان جعله أحسن مما هو عليه الآن ؟

وجلسوا جميعا على حافة الحفرة تحت ظل شجرة الدردار التي نفذ شذى رائحتها العطرة عبر أنوفهم ••

قال « ستراتا » :

ـ أخالكما تريدان تناول شيء من اللحم ، رغم أنكما لستما فأرتين !••

ـ نعم أريد •• لو أعطيتني ••

ـ هذا يعني أنك لا تنوين أخذها بالقوة ••

ـ أوه !•• انني لا ولن أحلم في أخذها بالقوة ••

ـ ها •• ها •• أي طريقة مضحكة في أخذ الاشياء على طريقتك هذه أيتها الامرأة ؟

ـ حسنا •• ولكن لماذا تتعب نفسك ؟

ـ انني أعترف أنني لست جذابا ••

فانبرت « كيفيتا » تجيبه :

ـ انها هي الجذابة •• وهي تفهم أكثر مما تتوقع ••

ـ أنا ؟ وهل أتوقع شيئا ؟••

واستدركت كيفيتا متراجعة :

ـ لست أدري !••

وأمسكت « ناستا » بزمام المزاح تريد تبرير سحابة صمت كادت تظللهم :

ـ اذن •• أنت فأر !

فضحك « ستراتا » وقال :

ـ طبعا •• طبعا • وماذا نكون اذن ؟

وتناول « ستراتا » من على قطعة خشب ملقاة بالقرب منهم، سكين الجيب التي يحتفظ بها منذ أيام الحرب ، وقطع رغيف الخبز الى شطائر دائروية وفعل مثلها في اللحم ، ثم قال بأسلوب شاعري :

والآن دعونا نأكل فلدينـا الكثير من الوقت ••
الوقت الذي لا قيمة له ـ هذه الايام على الاقل ـ •
ان وقت الحرب لا يمكن أن يحسب وقتا ثينا ••

وقاطعته « ناستا » محاولة بعث الامل في نفسه :

ـ الطقس جميل •• أليس كذلك ؟••

فأجابها « ستراتا » :

ـ وأي شيء لا ترينه جميلا يا ناستا ؟!

مدت ناستا يدها اليسرى تحت فجوة ركبتها بينما استند مرفقها الابيض العاري على حافة فخذها •• وأدارت الجانب الداخلي من مقدمة ذراعها باتجاه جسمها وهي تمسك بالخبز واللحم في يدها ، ثم رفعتهـا الى فمها ، كان ظهرها مستقيما وخصرها ناحلا •• وكانت تنورتها ـ وهي جالسة ـ تكشف عن كل شيء !•• كأنها لا تخبىء شيئا ، كأنها أباحت كل ما تمتلكه ومنحته للريح اللطيفة •• وأفلتت من بين شفتيها ابتسامة عريضة اذ عرفت لحظتئذ ـ أكثر من ذي قبل ـ ما كانت تتميز وتتنعم به ••

« وكيفيتا » هي الاخرى واضعة مرفقها على ركبتها ، راحت تمسح وجهها بأصابع يدها اليسرى ، محاولة اخفاء أسنانهـا المتكسرة •• كان لديها الاستعداد للكلام طول الوقت ، تتحدث عن ثيابها الممزقة •• تتحدث عن القمح وعن كل شيء يخطر ببالها ، رغم أنها تشعر أن الشخصين اللذين تتحدث اليهما لا ينصتان لها الا مجاملة ، وينظران اليها على أنها مخلوقة تحاول سرقة شيء يخصهما •• شيء لا يخص أحدا آخر ولكنه يخص كليهما •• على أنها ـ « كيفيتا » ـ كانت تقذفهما بنظرة جانبية طويلة من وقت لآخر ، ولكن ذلك لم يؤثر على روحها المرحة •• واستمرت تتحدث اليهما ، وقالت لهما كيف أن قطعة صغيرة من الخشب ـ ملتصق بها خطاب ـ سقطت على منضدة مديرة المدرسة وكم كان مخضرما ذلك الذي رماها ••

وسألها « ستراتا » :

ـ وماذا يقول الخطاب ؟!

ـ انه مكتوب بالايطالية !••

وتكلمت « ناستا » للاجابة عن « كيفيتا » بشكل أوضح ، وصوتها ينبعث كرنين الجرس :

ـ انهم المناضلون أولئك الذين كتبوا لها لكي ترحل من القرية ••

ـ هم !! ضحكت « كيفيتا » لبرهة قصيرة ، لانها كانت هي أيضا تعرف فحوى الخطاب رغم أنها لم تقرأه البتـة •• والحقيقة هي أن القرية كلها كانت تعرف كل شيء عنه باستثناء « ستراتا » ••

ـ هذا حق !•• يجب عليها أن تعود من حيث أتت ••

وأردف « سترانا » قائلا :

ـ انني أعرف أنكن شغوفات فقط بمطاردة الحظ والقبض عليه ••

فردت « كيفيتا » :

ـ الحظ بأيدينا لبعض الوقت !

وتلتها ناستا تقول :

ـ ان المديرة امرأة جميلة ••

فعقبت عليها « كيفيتا » ساخرة :

ـ بلى •• انها جميلة ، جميلة جدا • لكن فمها فقط مثل فم الشاة ، هكذا •• وفتحت « كيفيتا » فمها لتعطي دليلا على ما تقول ••

وقرعت « ناستا » أجراس ضحكتها :

ـ ذلك صحيح •• انها تحاول اخفاء أسنانها بعض الشيء••

قالت كيفيتا :

ـ انها بيضاء •• بيضاء فقط ، وهذا كل ما بها ••

وسأل « سترانا » كيفيتا وسط تشجيع ضحكات « ناستا » بينما انهمك في تناول قربة النبيذ فمسح فمها وقدمها لهما :

ـ ما رأيك فيما لو جاء رجال المقاومة الشعبية الآن وأخذوك الى السجن ؟••

فأخذت « ناستا » زمام الاجابة بسرعة :

ـ حسنا •• دعهم يأتون ••

فتطلعت اليها « كيفيتا » وصفعت فخذها محتدة وقالت :

ـ سوف نعطيهم اياك !• دعيهم يأتون ••

ـ أنا ؟•• أنا لا أسمح لاي شخص بأن يزحزحني من قريتي بمثل هذه السهولة !••

ـ اطمئني •• فهناك أناس يستطيعون رعايتك ••

عرفت « كيفيتا » مبعث هذا المرح الذي يلف « سترانا » و « ناستا » انها ـ كيفيتا ـ في الوقت ذاته تقاسي من غزير شهوتها ، ان شهوتها تمزقها وتعذب نفسها •• انها ترغب في ألا تكون أقل منهما حظا ان لم تطمع بأكثر • وعلى قدر شهوتها هذه كانت تتمنى لهما أن يبقيا جنبا الى جنب ، لتبارك غبطتهما الى الابد ••

وأدرك « سترانا » أن هذه الرأس الصغيرة كانت تعرف الكثير عنهما •• عرف أن هاتين العينين ـ اللوزيتي الشكل ـ كانتا تنفذان عميقا بطريقة لم يكن يستطيع فهم معانيها بأكثر من الحدس ، تماما كما يفعل شخص لا يستطيع فهم تقاليد قديمة • وعرفت « ناستا » أيضا مبلغ قرب « سترانا » منها ، كم كان مرتبطا بها برباط حب صدوق •• الحب الذي يجمع بين انسانين مسافرين معا في طريق واحد •• انها تعتبره في مرسى يستطيع ارساء رغباته فيه في كل مرة يعود بها اليها ـ في كل يوم •• وتعتبر نفسها المرسى الامين الذي يجعله يقلع بشراعه نحو جمال « ناستا » الناعم الجذاب•• على أنه لا يستطيع التوغل بها بعيدا •• انها تعرفه ومتأكدة مئة بالمئة أنه لا يستطيع الذهاب بعيدا في علاقتهما ، لان ثمة طيبة ملائكية كانت بينه وبينها ، شيء روحي ليس من شأنه الا أن يزيد الامور تعقيدا بالنسبة لها ••

ونهضت « كيفيتا » متجهة الى صفحة التل وتسلقت شجرة عرعر •• ثم عقدت ذراعيها أحدهما على الآخر ، وصارت في وضع جعل كتفيها ورقبتها المائلة ـ نوعا ما ـ تظهر أكثر هزالا من المعتاد • وقطبت « كيفيتا » حاجبيها وهي تنظر حولها الى الصخور والهشيم والكروم ، والى غابات الزيتون وأشجار التين المنتشرة أمامها •

* * *

بلغت الشمس أعالي السماء ، وراحت النسمات الباردة العطرة تصفر من خلال شجر العرعر •• وسمعا في مكان ما من حولهما صرير صرصار ، وهناك ، من خلال القسم الصخري من أعالي التل الذي كان يجثم فيه كرم « باسكو » ذو الشكل المعين ، تحيط به جدران ضخمة ، جاء صوت معول يعمل في الصخر •• كان القميص الابيض للرجل الذي يعمل هناك يظهر لهما من بين أشجار الزيتون ••

وتسارعت رياح الظهيرة الفتية النظيفة ، تأتي مبتهجة في طريقها من البحر •• وأخذت تلامس الاشجار ، وتنحني لها أوراق النباتات والاعشاب • وكانت تراقص أغصان الزيتون ، كما لو كانت نشوى فرحة بمسيرها نحو الشرق ، الى احدى ولائم ما بعد الظهيرة ••

ناعمان هما كعبا « ناستا » ••

رنان هو صوتها ••

عطر هو جسدها ••

ونهض « سترانا » على قدميه •• التقط حصيات مفلطحة ملساء ، وراح يرميها في الوادي وكأنه ولد صغير ••

٧٠٠٠ لاجىء مسلم وجدوا

وطناً ثانيا لهم في المانيا الغربية

في ألمانيا اليوم (٧٠٠٠) لاجىء من أصل اسلامي ٠ ومثل هذا العدد لا يشكل فقط جالية كبيرة ، بل يشكل أيضا أكبر جالية أجنبية في ألمانيا ، بالاضافة الى طابعها الخاص المميز ٠ لقد وجد هؤلاء اللاجئون أمامهم وضعا يختلف كل الاختلاف عما هو عليه في وطنهم الاصلي ٠ ولهذا فقد كان من المشكوك فيه بحق ان كانوا سيتمكنون أصلا من ملاءمة حياتهم مع محيطهم الجديد ، هذا ان كانوا سيستطيعون تأسيس عائلات جديدة والحصول على مصدر جديد للقمة عيشهم ٠

ان القسم الاكبر منهم ينتسب الى المناطق الاسلامية من الاتحاد السوفياتي من تركستان واذربيجان ، ومن القرم ومن شرق القوقاز ، ومن جهات نهر الفولجا ٠

وقسم منهم يأتي من يوغوسلافيا والبانيا ٠ وكان سبب مجيئهم الى ألمانيا هو الاضطراب والتشويش الذي سببته الحرب العالمية الثانية ٠ ولحسن حظهم ، كان بمقدورهم أن يبقوا هناك ٠

ولقد كانت السنون الاولى بعد الحرب من أصعب السنين ، ولم تكن هذه الصعوبة خاصة باللاجئين المسلمين فقط بالطبع ٠ اذ أن الالمان كلهم قد تعذبوا بسبب فقدانهم لكل شيء بشكل ليس له نظير ٠ ولقد اقتسم المسلمون مع الالمان سوية تلك الايام السوداء ٠ وهم ينعمون الان بالايام الجميلة مع الالمان سوية أيضا ٠ أي أنهم يشاركونهم الان في السراء كما سبق وشاركوهم في الضراء ، أثناء أيام ما بعد الحرب الثانية ٠

وقد استطاع القسم الاكبر منهم ايجاد شغل له ، اما في الصناعة واما في الزراعة ، أما الباقون فقد أسسوا لانفسهم محلات تجارية أو صناعية يدوية صغيرة ٠ ولقد استطاع عدد منهم مع الزمن أن يتوصل الى مستوى اقتصادي يحسد عليه ، والفضل في ذلك يرجع الى نشاط هؤلاء الاشخاص وموهبتهم ، كما ان هذا الفضل يعود أيضا الى القوانين الحرة العديمة الشبيه ، تلك القوانين التي عملت الحكومة الالمانية بمقتضاها في مثل حالة هؤلاء اللاجئين ٠

وبالاستناد الى أحد القوانين الذي تم التصويت عليه في عام ١٩٥٢ ، فان لاجئي الحرب الذين كانوا في ذلك الوقت يسكنون في ألمانيا ، سوف ينعمون بنفس الحقوق التي ينعم بها الالمان بغض النظر عن القومية أو الدين ٠ ولهذا فان اللاجئين يملكون بهذه الطريقة ضمانة اقتصادية واجتماعية ، تلك الضمانة التي ليس لها شبيه بالمرة ، والوحيدة من نوعها في تاريخ الذين فقدوا الجنسية في أوروبا وفي العالم كله ٠ وتسري هذه الضمانة أيضا على اللاجئين المسلمين ٠ فهم ينعمون بنفس الحقوق السارية على المواطنين الالمان بالنسبة للتوظيف المهني وبالنسبة لدفع الرواتب والتقاعد ، كما يستطيعون أيضا استخدام مواهبهم وكفاءاتهم والاستفادة منها مثل الالمان أنفسهم (ان مشوهي الحرب منهم يتلقون مرتبا تقاعديا مثل الالمان تماما) ٠

ان المسلمين في الدنيا يستفيدون من هذه الامكانيات ، وكثيرون منهم يتزوجون نساء ألمانيات ، وهم اليوم أصحاب عائلات كثيرة الاطفال ٠ ويداوم هؤلاء الاطفال على المدارس الالمانية ، ويحصلون ، بالاضافة الى ذلك ، على درس في الدين الاسلامي كل اسبوع ٠

وهناك منظمة مركزية ، مركزها مدينة ميونيخ بالمانيا الغربية تقوم بالمراسم الدينية تحت ادارة أحد أئمة هؤلاء اللاجئين المسلمين ٠

وبالاضافة الى ذلك ، فان المسؤولين الالمان لا يسهرون فقط على المساواة الحقوقية وحدها لهؤلاء اللاجئين ، وانما يبذلون جهدهم أيضا للمحافظة بشكل سليم على بقاء تلك التقاليد الحضارية ، ويتبعون في ذلك تلك السياسة التي يعملون على هداها بالنسبة لكل مجموعات الامم

المختلفة في ألمانيا . وعلى هذا الاسلوب تقوم ألمانيا بقسطها في خلق روح من التفاهم العميق بين الشعوب والامم في أوروبا وفي كافة أنحاء العالم عامة .

هذا ، وان العدد الاكبر من اللاجئين المسلمين القاطنين في ألمانيا يعيشون في الجزء الجنوبي من ألمانيا . وبشكل رئيسي في اقليم بغاريا وفي مدينة ميونيخ ، وما حولها ، وفي نورنمبيرغ ومدينة أولم . ويعيش قسم منهم أيضا في منطقة فرانكفورت وفي مدينة هامبورغ . هذا ، وفي مدة قريبة سوف يكون عندهم مسجد في مدينة ميونيخ ، التي تعتبر المركز الرئيسي لهذه الجالية الكبرى ، والتي ستجهز بمكتب لشؤون الثقافة والتربية .

ولقد ظهر هذا المشروع الى حيز الوجود بعد ان وهبت الحكومة أرضا للبناء . وقدمت مدينة ميونيخ مساعدة مالية لتحقيق هذا المشروع . كما أن المسلمين في ألمانيا لتحقيق هذا المشروع . كما ان المسلمين في ألمانيا يملكون مسجدا في مدينة هامبورغ ، ومسجدا آخر في مدينة برلين . وهذه المساجد أسست حديثا أو أعيد بناؤها من جديد . ويوجد مسجد آخر في (شفيتزينجن) قرب مدينة هايلدبرج ، وهو في الوقت نفسه متحف ، وقد كان بالاصل عبارة عن مقبرة في منتهى الروعة والجمال بناها أحد الامراء الالمان لزوجته المسلمة .

وأخيرا ، يستطيع المرء بعد أن عددنا هذه الاشياء كلها ، أن يقول بأن هؤلاء اللاجئين المسلمين الذين لجأوا الى ألمانيا يبذلون غاية جهدهم ليحتلوا مكانهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لهذه البلاد ، وفي الوقت نفسه يحافظون ويرعون صفاتهم الاصلية والحضارية .

القنصلية البلغارية

في دمشق

تقدم للامة العربية

أصدق التهاني

بعيدي الميلاد ورأس السنة

راجية لها التقدم والازدهار

الى النيابة العامة بدمشق

رقم الدعوى : ٢٢١

رقم القرار : ٢١٩

تاريخ الحكم : ٣١ـ١٠ـ١٩٦٠

المحكوم عليه : قرەبت بن بفو صاركسباريان عامل فندق ومقيم في بيروت .

حيث ثبت اقدام المحكوم المذكور على تهريب المواد المخدرة المنطبق على أحكام المادة (٢) من القانون ١٩٦٠/٧٧ فقد صدر الحكم عملا بالمواد من قانون العقوبات ووضعه في سجن الاشغال الشاقة خمس سنوات وتغريمه خمسة عشر ألف ليرة سورية .

وحيث انه ما زال فارا تقرر حجز أمواله وأملاكه واسقاطه من الحقوق المدنية عملا بالمادة (٣٢٩) من قانون أصول المحاكمات الجزائية .

لذلك ، نقدم اليكم نسخة عن هذه الخلاصة لتنفيذ مضمونها . في ١١ جماد الاول ١٣٨٠ وفي ٣١ـ١٠ـ١٩٦٠ .

رئيس الكتاب   الرئيس

اشتراك يوغوسلافيا والهند في معرض دمشق الدولي الثامن

في بحر هذا الاسبوع أبلغت غرفة التجارة الاتحادية اليوغوسلافية المديرية العامة لمعرض دمشق الدولي تثبيت اشتراك يوغوسلافيا رسميا في معرض دمشق الدولي الثامن.

كما أبلغت القنصلية العامة للهند في دمشق المديرية العامة للمعرض أيضا قبول اشتراك الهند رسميا في المعرض الثامن .

وبذا أصبح عدد الدول المشتركة رسميا في المعرض الثامن حتى الآن تسع دول ..



النشاط الثقافي في الاقليم الشمالي

محاضرات وندوات

★ ألقى الاديب شاكر مصطفى محاضرة قيمة بعنوان « رسالة الحرف » في بهو جمعية الوعي العربي ، كما ألقى في المركز الثقافي في دمشق محاضرة موضوعها « نحو ثقافة عربية جديدة » وسيشترك الاستاذ مصطفى في المهرجان الذي يقام في حمص احتفالا بذكرى المرحوم الشاعر نسيب عريضة ، فيلقي مقطوعات من شعر الشاعر .

★ ألقى الدكتور بديع حقي في المركز الثقافي في السويداء محاضرة تحدث فيها عن الرمزية في الشعر العربي المعاصر .

★ « الوجود ما له وما عليه » موضوع المحاضرة التي سيلقيها الاديب وليد مدفعي في منتدى سكينة يوم ٧ كانون الثاني ١٩٦١ .

★ ستقيم دار مجلة الثقافة مهرجانا شعريا في بهو النادي العربي بدمشق يشترك في احيائه الشعراء أمين نخله ، نديم محمد ، حامد حسن ، خليل الخوري ، بديع حقي . وسيعقب على قصائد الشعراء الاستاذ شاكر مصطفى .

النتاج الجديد

★ أصدر الدكتور صالح الاشتر كتابا درس فيه شعر النكبة ، كان معظم القصائد التي اختارها الدكتور من الشعر الحديث .

★ دفع الدكتور ابراهيم الكيلاني الى السوق كتابه الجديد الذي يتناول فيه أدب الجاحظ وحياته .

★ في سلسلة الكتب التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد « الدار الكبيرة » رواية الاديب الجزائري محمد ديب ، وقد قام بتعريبها الاستاذ سامي الدروبي ، كما تعمل الوزارة على اصدار روايتين أخريين للكاتب نفسه وهما : (الحريق) و (النول) .

★ أصدر الدكتور محي الدين السفرجلاني كتابه الجديد عن (تاريخ الثورة السورية) .

★ أنهى الدكتور بديع حقي ترجمة رواية الكاتب الامريكي ارنست همنغوي (ما تزال الشمس تشرق) وسيصدر الكتاب عن دار العلم للملايين .

★ ستصدر خلال أيام مجموعة من الشعر المنثور بعنوان (كآبة) للاديب اسماعيل عمود .

★ صدرت مجموعة « لهب في دجلة » للشاعر العراقي نعمان ماهر الكنعاني ، وشعر المجموعة تأريخ لما مر بالعراق من احداث منذ قيام الثورة الاخيرة ، والجدير بالذكر أن الشاعر مقيم في دمشق منذ أكثر من عام .

★ فاز هاني الراهب بجائزة الرواية في مسابقة مجلة الآداب اللبنانية في روايته (المهزومون) كما فازت مجموعة الشاعر الراحل عبد الباسط الصوفي « أبيات ريفية » بجائزة الشعر .

★ صدر في باريس كتاب يضم مختارات من الشعر العربي القديم والمعاصر ، قام بترجمة الشعر الى الفرنسية رينه خوام .

النشاط الفني في الاقليم السوري

أقام الفنان نعيم اسماعيل معرضه الثاني لعام ١٩٦٠ في صالة الفن الحديث .. ويتضمن هذا العرض أربعا وخمسين لوحة ما بين زيتية ومائية .

والفنان نعيم اسماعيل من رواد الفن الحديث في اقليمنا ويعتمد في فنه على استلهام التراث الفني العربي سواء في الآرابيس أو الزخرفة العربية أو المكتشفات الأثرية للنحت العربي القديم في اليمن . الى جانب استعانته بثقافة رفيعة في الفنون الاوروبية المختلفة على مر عصورها ومدارسها . ولا شك في أن نجاحه كامن في قدرته على الربط ما بين التراث العربي وبين التراث الانساني عامة ..

ومواضيع الفنان نعيم اسماعيل مسمدة من البيئة العربية اذ نجد الريف بكل صفائه وجماله وحزنه وفرحه في لوحاته كما نجد المدينة . وان عين الفنان تلتقط الحياة العربية أفراحها ومآسيها فتسجلها على اللوحة بخطوط وألوان وأشكال تامة الانسجام .. فهو بذلك يحاول ربط حاضرنا بماضينا .

ولا شك أن أعمال نعيم اسماعيل تؤكد تفتح العبقرية الفنية العربية وتؤكد ان الفنان واجد لا محالة نبعا خصبا للرسم في التراث العربي وفي الحياة العربية .

* قامت وزارة الثقافة والارشاد في الاقليم الشمالي بتصوير فيلم قصير عن دمشق بغوطتها ، وبجميع مرافقها الاقتصادية وصناعاتها الاصلية ، وقد قام الموسيقار صلحي الوادي بوضع الموسيقا التعبيرية المرافقة للفيلم مستوحيا اياها من وجود دمشق ، ومن أصوات الآلات والطبيعة فيها .

* سيقام معرض الربيع للفنون التشكيلية لعام ١٩٦١ في العاشر من شهر أيار وهو الموعد المحدد لاقامته كل عام . وقد عممت مديرية الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة والارشاد على الفنانين الذين يودون الاشتراك فيه ليسلموا لوحاتهم قبل أول آذار .

قرار رقم ٢٢١/ع

ان وزير الاصلاح الزراعي

بناء على أحكام القرار بقانون رقم ٢١٠ لعام ١٩٦٠

وعلى اقتراح المدير العام للمصالح العقارية

يقرر

مادة ـ ١ ـ يوجد نفع عام باجراء عمليات التجميل وازالة الشيوع في القرى التابعة لمنطقة صلخد والمبينة أسماؤها فيما يلي :

عرمان

قريا

أم الرمان

عنز

مادة ـ ٢ ـ ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق ١٩-١٢-١٩٦٠

بدر الدين الكاتب
المدير العام للمصالح العقارية

أحمد الحنيدي
وزير الاصلاح الزراعي